مظاهر التكامل بين المناهج اللغوية

في دراسة دور المفعول به في الجملة (قراءة في كتاب سيبويه)

د. أنفال ناصر الموسوي

قناديل

مظاهر التكامل
بين المناهج اللغوية

في دراسة دور المفعول به في الجملة
(قراءة في كتاب سيبويه)

الكتاب: مظاهر التكامل بين المناهج اللغوية في دراسة دور المفعول به في الجملة

(قراءة في كتاب سيبويه)

المؤلف: الدكتورة أنفال ناصر طالب

الطبعة الأولى 2025م

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ولا يحق لأي جهة إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه، بأي شكل أو واسطة.

All rights are reserved to the publisher. This book or parts thereof may not be re produced in any form or by any means.

دار قناديل للنشر والتوزيع

بغداد - شارع المتنبي

العراق - بغداد - مكتب بريد عدن، ص. ب 75021

009647711313929 ganadel.1986@gmail.com

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978-9922-8286-5-7

الدكتورة أنفال ناصر طالب

مظاهر التكامل بين المناهج اللغوية

في دراسة دور المفعول به في الجملة

(قراءة في كتاب سيبويه)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

صدق الله العظيم

[الإسراء. الآية 85]

إهداء

إلى من اختلج قلبه بحب لغة القرآن

وذاب في هواها

إلى من خط بمداد عشقه حروف كلماتها

وتهجد بترانيم أصواتها

إلى من بذل نفسه معتكفاً في محراب مجدها

إلى من جال بين أعطاف أسرارها

سابراً أغوارها

وساعياً لاكتشاف كنه عظمتها

إلى من مضى ... ومن سيأتي

ومن بينهما

إليهم جميعاً ... أهدي هذه السطور

الفهرس

المقدمة 11

الفصل الأول 15

بين مفهومي تمام الكلام وما بعد تمام الكلام عند سيبويه

المبحث الأول: **بين مفهومي الإسناد والبناء عند سيبويه** 17

المبحث الثاني: **مكملات المعنى في الجملة (موازنة بين المفعول به وبقية مكملات الجملة)** 25

الفصل الثاني 51

جملة المفعول به عند سيبويه في ضوء المستويين الثابت والمتحرك

المبحث الأول: **جملة المفعول به عند سيبويه في ضوء المستوى الثابت** 57

المبحث الثاني: **جملة المفعول به عند سيبويه في ضوء المستوى المتحرك** 75

قبل الختام... عوداً بعد بدء 99

جملة المفعول به في الكتاب في ضوء منحى سيبويه التكاملي

الخاتمة 109

المصادر والمراجع 113

المقدمة

الحمد لله فالق الحب والنوى، مجري الفلك، مسخر الرياح، فالق الإصباح ديان الدين، رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للخلائق أجمعين، نبينا المرتجى، محمدٍ المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين، أعلام الهدى ومصابيح الدجى

أما بعد..

تنوعت نظرات الباحثين لما أسهم به سيبويه في مجال الدراسة اللغوية، فتعددت وجهات نظرهم بتعدد قراءاتهم، واختلفت آراؤهم في طبيعة المنهج الذي اعتمده سيبويه في دراسته اللغوية، فمنهم من ربط منهجه في كتابه بالوصفية [1]، ومنهم من أشار إلى أنّ الكتاب يجمَعُ بين دفّتيه بين الوصفيّة والمعياريّة [2].

(1) ينظر على سبيل المثال كتاب: فقه اللغة العربية وخصائصها، د. إميل بديع يعقوب وغيره من الكتب.

(2) ينظر: الكتاب بين المعيارية والوصفية، د. أحمد سليمان ياقوت، وبحث: كتاب سيبويه بين التقعيد والوصف، عبد القادر المهيري.

وهناك باحثون آخرون أشاروا إلى جوانب أخرى في الكتاب تُحيلُ إلى مناهج أخرى كنظرية سياق الحال والموقف، والبعد الاجتماعي في اللغة، والنظرية التوليدية التحويلية [3]، والتداولية، وغيرها.

وقد رفض الدكتور سعيد البحيري مبدأ المقابلة بين التحاليل النحوية القديمة بمعطياتها، وأصولها، وبين التحاليل الحديثة بدعوى التشابه والتقارب؛ لأن ذلك يؤدي الى خطأ جسيم من الناحيتين النظرية والتجريبية، إذ يرى أن إعادة تشكيل نظرية سيبويه تفرضها نصوص الكتاب نفسها من الداخل، وليست مفروضة عليها من الخارج [4].

وبدءاً.. يمكننا القول إنّنا لا نستطيع أن ننسب منهجاً معيناً- بكلّ جوانبه - لسيبويه فنقول عنه إنه وصفي ،أو معياري ،أو بنيوي ،أو وظيفي ،أو توليدي تحويلي ،أو سياقي اجتماعي ،أو تداولي...الخ

ذلك أنّ مثل هذه النسبة ستكون ظالمة لجهود ذلك العالم الجليل.. فهو لم يَكُن يوماً من أتباع مدرسة من المدارس اللغوية الحديثة، أو من أنصارها، ولم يكن يوماً متفرعاً عنها ومتّبعاً لنظرياتها.. بل إنه الأصل والمبدأ الذي انطلقت منه أفواج العلماء لقرونٍ وقرون.

---

(3) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، ومصطلح الكلام، مفاهيمه ومباحثه في كتاب سيبويه، د. عبد الجبار عبد الأمير هاني وغيرهما.
(4) عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه . محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، د. سعيد حسن بحيري، المقدمة.

ولكننا هنا في مقاربة لتلمّس جوانب تعكسُ لنا شذراتٍ من فكر سيبويه في كتابه، ورؤيته المتفردة للغة، فضلاً عن الآليات التي كان يستخدمها وهو يُحلل أساليب العربية سابراً كنهها، وكاشفاً اللثام عن خفاياها.

ونحن في ضوء ذلك نتتبع الرؤى المتعددة التي نثرها سيبويه في كتابه حول الأهمية الدلالية والوظيفية للمفعول به في الجملة، فقد اختلفت آراء علماء العربية قديماً وحديثاً في حقيقة الدور الذي يؤديه المفعول به في الجملة بين من عده تكملة لا ترقى من حيث الأهمية لمستوى الوحدة الإسنادية في الجملة، وبين من لاحظ أهميته الكبرى في الكلام ودوره الدلالي الذي لا غنى عنه في اكتمال المعنى ، والتعبير عن المقاصد التخاطبية.

فكان المسعى والمقصد هو تتبع جملة المفعول به في كتاب سيبويه، وما عرضه من أدوار وظيفية اضطلع بها المفعول به في الكلام في ضوء استعراضٍ لأبرز آراء سيبويه، وانطلاقاً من الموازنة بين مفهومي تمام الكلام وما بعد تمام الكلام لديه من حيث الإسناد والبناء، وموقعية المفعول به بين سائر مكملات الجملة، مع تتبع لجملة المفعول به عند سيبويه في ضوء المستويين الثابت والمتحرك، وما تضمنته من صور في ثبوتها تارةً، وفي حركتها الرأسية والأفقية والموضعية تارةً أخرى.

ثم كانت نافلة القول مشتملة على إشارة عامة لأبرز ما استخلصته القراءة في الكتاب من منحى تكاملي وظفه سيبويه في إحاطته الشاملة بوظيفة المفعول به في الجملة، عبر تعدد الرؤى، وتكاملها، دون تنافر أو تعارض.

الباحثة

الفصل الأول

بين مفهومي تمام الكلام وما بعد تمام الكلام عند سيبويه

المبحث الأول

بين مفهومي الإسناد والبناء عند سيبويه

اعتمد نحاة العربية في تأسيس قواعد النحو العربي على نظرية الأصل والفرع فبحثوا أصل وضع التركيب الصحيح " بناءً على أن التركيب جملة، وجردوا للجملة أصلاً يتكون من ركنين هما المسند والمسند إليه، وما زاد عنهما سموه فضلة وعدوه غير أساسي في أصل الوضع المجرد للجملة " [5].

إن الوحدة الإسنادية هي وحدة بنائية إخبارية، وتكون جزءاً من الجملة، كما قد تكون جملة كاملة، وهي تمثل تركيباً إسنادياً أساسياً وقاعدياً في بناء اللغة العربية ونسيجها عماده المسند والمسند إليه اللذان تجمعهما رابطة إسنادية معنوية تسمى (الإسناد)، تجعل كلاً منهما متعلقا بالآخر [6].

وقد أشار سيبويه في بداية كتابه إلى مفهوم الإسناد بقوله: " هذا باب المُسند والمُسند إليه، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يَجدُ المتكلمُ منه بُداً، فمن ذلك الاسم المُبتدأ والمبنيُّ عليه، وهو قولُكَ: عبدُ الله

(5) نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، د. حسن خميس الملخ: 112 - 113.

(6) ينظر: الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم، د. بو معزة رابح: 13.

أخوك، وهذا أخوك. ومثل ذلك قولك: يذهب زيدٌ، فلا بُدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء " [7].

ويظهر من كلامه أن الأساسَ الذي بُني عليه الكلام لابدّ أن يتألف من ركنين هما: المسند والمسند إليه، أي المبتدأ والخبر، والفعلُ والفاعل، فالإسنادُ " يشملُ الجملة الاسمية والفعلية، إذن؛ المبتدأ والفاعل مسند إليهما، والخبر والفعل مسندان، لأن الخبر لابُدّ أن يبنى على مبتدأ، والفعلُ لابد له من اسم " [8]. ولم يرد مصطلح (الجملة) في الكتاب، إذ إن سيبويه قد أشار إلى مفهومها تحت مصطلح آخر هو مصطلح (الكلام) الذي تردد في كتابه بدلالات متباينة، فتارة ورد الكلام مرادفاً لمعنى الجملة، ونراه في مواضع أخرى دالاً على معنى الكلمة، أو اللغة، أو اللهجة، أو غير ذلك [9].

ويُطرح هنا تساؤل عن موقف سيبويه من باقي مكملات الجملة، وعن دورها في الجملة، وهل يصحُّ أن نعدها (فضلةً) يتم الكلام دونها غالباً؟

يرى الدكتور عبد الجبار عبد الأمير هاني أن الكلام لدى سيبويه. يعتمد - في الغالب - على فكرة البناء، وهي الفكرة المركزية في الكتاب على المستوى النحوي، والبناءُ عمليةٌ شكليةٌ، ولكنها تشير إلى العلاقات النحوية بين أجزاء

---

(7) الكتاب، سيبويه: 1/ 23 - 24.

(8) دروس في المذاهب النحوية، د. عبده الراجحي: 32.

(9) ينظر: موضوعات في نظرية النحو العربي . دراسات موازنة بين القديم والحديث، د. زهير غازي زاهد: 108، الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه . دراسة وصفية تحليلية، د. علاء إسماعيل الحمزاوي: 5، الوحدة الإسنادية الوظيفية . دلالتها وصورها، د. رابح بو معزة: 9.

الكلام، فهي عملية بناء كلمة على أخرى على وفق قوانين النحو التي تحكم ترتيب الكلم وعلاقاتها بعضها ببعض [10].

ويشير هذا الباحث إلى أنّ " مفهوم البناء لدى سيبويه كان الأساس فيما بعد لمفهوم التعلق عند الجرجاني " [11]، وربما يشير مصطلحا (المبني والمبني عليه) لدى سيبويه إلى نظرته لهذا المفهوم [12]. ولا يعني هذا بطبيعة الحال أنّ مفهوم الإسناد مفهومٌ خاطئٌ يخلو من الفائدة، إذ إن قانون الإسناد موجود في مختلف اللغات [13]، وقد تنبّه سيبويه لهذا القانون، وأشار إليه، واعتمد عليه جنباً إلى جنب مع مفهوم البناء.

إن مفهوم البناء في كتاب سيبويه أوسعُ من مفهوم الإسناد، " أي إن الإسنادَ لديه جزء من عملية البناء " [14]، فعمليةُ الإسناد تنحصرُ بين المبتدأ والخبر، أو بين الفعل والفاعل، أما " عملية البناء فتتجاوزُ هذين النموذجين لتشمل بعض الحروف والكلم التي تردُ بعد استغناء الكلام " [15].

أسباب الابتداء بمفهوم الإسناد عند سيبويه:

يمكن أن نُشير إلى بعض الأسباب التي دفعت سيبويه إلى أن يبتدئ كتابه بمفهوم الإسناد كما يأتي:

---

(10) ينظر: مصطلح الكلام: 60.

(11) المصدر نفسه: 60.

(12) ينظر: المصدر نفسه: 61.

(13) ينظر: دروس في المذاهب النحوية: 32.

(14) مصطلح الكلام:61.

(15) المصدر نفسه: 61.

1. إنَّ مفهوم الإسناد عام في مختلف اللغات، فلا تنفرد به اللغة العربية[16] "فلا بد في كُلّ لغة من توافر ركنين أساسيين حتى يكون الكلامُ كلاماً "[17]، ولكي تتحقق الفائدة التواصلية؛ فالإسناد مقولة عامة كونية تستجيب لترتيب المعاني في الفكر [18].
2. لابدّ للمحلل اللغوي أن يُحدّد أصغَرَ وحدةٍ قابلةٍ للتحليل في منهجهِ ودراستهِ، أي أن يحدّد (النواة) التي ينطلق منها في تحليله، ويمثّلُ ركنا الإسناد تلك النواة التي يمكن أن تُعبّر عن معنى تام في سياقاتٍ عديدة. " فقد اجتزأ سيبويه أصغر وحدة لغوية تدلّ على معنى " [19]، وهذا يعني أن ركني الإسناد يمثلان أقل ما يمكن أن يُعبّرَ عن معنىً تام، يقول سيبويه: " الفعل لابُد له من الاسم وإلا لم يكن كلاماً" [20].

وليس هذا الأمر غريباً في الدراسات اللغوية الحديثة، إذ إننا نلاحظ أن كُلّ نظريةٍ لابدّ- عند تأسيسها- من أن تُحدّد أصغر وحدة للدراسة فيها، فالوصفيةُ مثلاً " تبدأ بالوحدة الصوتية وتعتبرها أصغر وحدةٍ لغويةٍ، ثم الكلمة، ثم الجملة " [21].

---

(16) ينظر: الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم: 15.

(17) دروس في المذاهب النحوية: 32.

(18) ينظر: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول: 353.

(19) الجملة الطويلة في القرآن الكريم، علي ناصر غالب: 25.

(20) الكتاب: 1/ 21.

(21) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين: 46.

ويحدد المستوى الصرفي **(المورفيم) (Morpheme)** بوصفه "أصغر وحــدةٍ ذات معنى" [22]، " أما التحويلية فتعتبر الجملة أهم وحدةٍ لغويةٍ، ثم تتجهُ بها إلى المعاني من جهة وإلى الأصوات من جهة أخرى " [23].

وتعتمد اللسانيات التداولية: الملفوظة، أي " الجملة المنطوقة في سياق دال " [24] بوصفها أصغر وحدةٍ يتألف منها الخطاب [25].

3. إن الإسناد عند سيبويه يمثل أحد أسس اكتمال العملية التواصلية في بعدها التداولي، إذ نرى أن سيبويه يستحضر دور المتكلم في عملية الإسناد التي تمثل نظاماً للعلاقات التركيبية في اللسان العربي، مؤكداً احتياج المتكلم للإسناد في أكثر من موضع. وهــو يرى أن القصد وتمام الفائدة يتحقق بوساطة الإسناد فضلاً عن أن المخاطب محتاج في وضعه الانتظاري إلى أن يعلمه المتكلم عن طريق العملية الإسنادية بما تتوقف عليه الفائدة ويتحقق به القصد من الكلام [26]، ولهذا، كان من الضرورة والمنطق أن يُعنى سيبويه بهذا المفهوم، ويبتدئ به كتابه.
4. كان لسيبويه هدفٌ تعليمي [27]، ولهذا فقد جمع أساليبَ العربية في محور (الإسناد) مع الاسم المظهر التام تارةً، ومع الاسم غير المظهر التام

---

(22) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 34.
(23) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث:46.
(24) البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، عثمان بن طالب: 127.
(25) ينظر: خطب عصر صدر الإسلام، دراسة لغوية، أنفال ناصر طالب: 68.
(26) ينظر: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، 351 - 352.
(27) منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد كاظم البكاء: 7.

تارةً أخرى، ثم قسّم الأول إلـى إسناد الفعل على ما قبله، والإسناد الذي يعتمد الأداة ويجري مجرى الفعل، أو ما كـان بمنزلته [28].

5. بنى سيبويه تحليله اللغوي على نظرية العامل، وإشارةُ سيبويه إلى مفهوم الإسناد ترتبط بما يكون له (أثرٌ إعرابي) وهو يرتبط هنا بركني الإسناد، أما باقي أجزاء الجملة فقد لا يكون لها ذلك الأثر [29].
6. إن في الحديث عن الإسناد إشارةً إلى التركيب (المركبات) بعد أن أشارَ قبلهُ إلى المجردات (الاسم والفعل والحرف) [30].
7. " ينظُرُ سيبويه إلى كلّ وظيفةٍ لغويةٍ على أنها تتحقق بوصفها وحدةً ثنائيةً تحتوي عنصراً فاعلاً (العامل)، (وهو المتكلم نفسه أو عنصر معين في ما يلفظه)، وعنصراً سالباً، المعمول فيه من قبل العنصر الفاعل في الوحدة الثنائية " [31]، وربما يعود ذلك إلى التأثّر بمبدأ الثنائية بوصفه مبدأ للمعرفةِ بمعناها الواسع في تفسير علاقات اللَفظ والمعنى والظاهر والمضمر، والمسند والمسند إليه [32].

---

(28) ينظر: المصدر نفسه: 10.

(29) ينظر: مصطلح الكلام: 65.

(30) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 23.

(31) نحوي عربي من القرن الثامن (للميلاد) (دراسة عن منهج سيبويه في النحو)، مايكل جي كارتر: 29.

(32) ينظر: خواطر هيكلية في كتاب سيبويه و (كتب) من جاء بعده من النحاة، هاينس غروتسفلد: 265 - 266.

8. إن ما سوى الإسناد من مكملات الجملة يمكن أن يتألّف الكلامُ بدونها فيكون تاماً مؤدياً لوظيفة الاتصال، أما (العمدة)- كما يسميها النحاة- فمن غير الممكن أن يتألف كلامُ بدونها ظاهرةً أو مقدرة [33].
9. إن الإسناد من أشهر القرائن المعنويةِ، وأكثرها وروداً[34]، ولهذا، فمن المنطق أن يُعنى سيبويه بهذا المفهوم.
10. اتخذ العلماء الجملةَ مضماراً للتحليل " وهي عندهم نظامُ علاقاتٍ قائم على أحكام تركيبيةٍ، وأهم علاقة في بنائها هي علاقة الإسناد بعنصريها المسند والمسند إليه، التي تُعَدّ بؤرة الجملة ونواتها، فالجملة لا تقوم إلا بهذه العلاقة، إن لم تكن لفظاً فتقديراً، أما الفضلات فعلاقتها بالنواة الإسنادية علاقة متغير بثابت " [35]، " لقد نظر العلماء إلى المعنى تارةً وإلى اللفظ تارةً أخرى، ولا يُعدّ هذا تناقضـاً في الوصف أو التفسير، بل يدلّ على أنهم كانوا يعطون لكلّ موقعٍ ما يناسبُه ويتوافق مع ضوابطه " [36].
11. إن العملية الإسنادية هي محور الجملة [37]، والإسناد " هو العلاقة الضمنية التي تربط المسند بالمسند إليه " [38]، والرابط بينهما هو

(33) ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي: 1/ 15.
(34) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: 191 وما بعدها.
(35) نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التركيب، د. عبد الحميد مصطفى السيد: 44.
(36) المصدر نفسه: 44، وينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن أحمد: 234.
(37) ينظر: الألسنية العربية، النحو . الجملة . الأسلوب . الخاتمة، ريمون طحان: 58.
(38) المصدر نفسه: 54.

الإسناد الضمني [39]، وفي كثير من الأحيان تكون الجملة تامة المعنى بهذه العلاقة [40]:

فضلاً عن أن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة، وهما يحققان معنى التلازم [41]، " فالفاعل يرتبط بالفعل ويُصبحُ جزءاً منه، وما يُضاف إلى الجملة من كلمات يرتبطُ بهما ارتباط الدوائر المحيطة بالنواة بها " [42].

وفي ضوء ما تقدم، من المنطق والضرورة بمكان أن ينصَبَّ تركيز سيبويه على (مفهوم الإسناد) لا بوصفه المفهوم الوحيد في اللغة، بل بوصفه النواة الأساس التي تتعلق بها باقي مكملات الجملة.

ولابد هنا أن يُطرح سؤال مهم يتعلق بموقع المفعول به في الجملة، وهل يعد عنصراً أساساً في الجملة بوصفه طرفاً ثالثاً في عملية الإسناد الضمني؟، أم إنه يساوي باقي مكملات الجملةِ الأخرى من حيثُ الأهمية والموقعية؟

---

(39) ينظر: المصدر نفسه: 54.

(40) ينظر: المصدر نفسه: 56.

(41) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، د. خليل أحمد عمايرة: 98.

(42) المصدر نفسه: 98.

المبحث الثاني

مكملات المعنى في الجملة

(موازنةٌ بين المفعول به وبقية مكملات الجملة)

اتضح مما تقدم أن لا تعارض بين مفهومي الإسناد والبناء، ذلك أن لكل مفهوم موضعه الذي يستحق، ودوره الملائم والضروري في منهجيّة سيبويه في دراسة أساليب العربية. إن الجمل العربية تتنوعُ أشكالها، فقد تتألف من ركني الإسناد فحسب، وقد تتألف من جانبين، جانب إسنادي، وآخر مكمّلٌ لمعنى الجملة، وقد يكون للجملة هيأة خاصة، كما هو الحال في أسلوب النداء[43].

لقد تحدث النحاة بدءاً بسيبويه عن مكملات الجملة وهي لديه تسمى (لغواً) أي إنها ليست بذات أثر إعرابي، ولكنه في الوقت نفسه يلحظُ قيمتها الدلالية التي لا تستغني عنها الجملة [44]، فالجملة لدى سيبويه تمثل نظاماً من العلاقات التي تربط بين أجزائها لتعبر عن معنى تام لـدى المتلقي [45].

---

(43) ينظر: بنية الجملة العربية في ضوء المنهجين الوصفي والتحويلي، عبد الحميد مصطفى السيد: 36، ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن الجملة تقسم إلى إسنادية وغير إسنادية، وهو رأي أورده عبد الحميد السيد في بحثه المشار إليه سابقاً.

(44) ينظر: الكتاب: 2/ 64، مصطلح الكلام: 65 - 66.

(45) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: 236.

ومن النحاة من أطلق عليها مصطلح (الفضلة)، فهذا ابن عصفور يقارن بين الفاعل والمفعول به في الجملة، فيرى أن الفاعل عمدة لا يتم الكلام دونه، أما المفعول به فهو فضلة قد يستغنى عنها، يقول: " وأما المفعول به: هو كل فضلة انتصبت بعد تمام الكلام يكون محلاً للفعل خاصة نحو ضرب زيد عمراً، لأن الفضلة مما يستغنى عنها والعمدة مما لا يستغنى عنها، ألا ترى أنك تقول ضرب زيد، ولا تذكر عمراً، فيتم الكلام دونه، ولا تقول: ضرب عمراً، دون زيد، لأن الفاعل لا يتم الكلام دونه " [46].

وميز ابن عقيل بين الفضلة والعمدة قائلاً: " الفضلة: خلاف العمدة، والعمدة ما لا يستغنى عنه كالفاعل، والفضلة ما يمكن الاستغناء عنه كالمفعول به، فيجوز حذف الفضلة إن لم يضر، كقولك في ضربت زيداً: ضربت، بحذف المفعول به، وكقولك في أعطيت زيداً درهماً: أعطيت " [47].

وقد أكّد أحد الباحثين دورَ مكملات الجملة في التعبير عن المعنى المقصود، يقول: " وليس المقصود بالفضلة عند النحاة أنها يجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما إنه ليس المقصود بها أنها يجوز حذفها متى شئنا، فإن الفضلة قد يتوقف عليها معنى الكلام، وذلك نحو قوله تعالى: **{وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين– الأنبياء 16}** فإنه لا يمكن الاستغناء عن

(46) شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ابن عصفور الإشبيلي: 1/ 53.

(47) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عقيل الهمداني، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد: 1/ 543 - 544.

قوله: **(لاعبين)** وكقوله تعالى: **{ولا تمش في الأرض مرحا- الإسراء 37}** فإنه لا يستغنى عن قوله: **(مرَحَاً)** " [48].

أي أن الأمر يتعلق بجوانب اختص بها التركيب الإسنادي جعلته في موقع متميز في الدراسات النحوية بدءاً بسيبويه ومن تلاه من النحاة.

ويظهر أن الفارق بين ركني الإسناد وباقي المكملات يتمثل في وجود عناصر أساسية (رئيسة) في التركيب تتمثل بالمسند والمسند إليه [49]، وتكون العلاقة بينهما هي علاقة (التطابق) بين المبتدأ والمبني عليه (الخبر) [50] أو علاقة (التفرغ) أو (الإشغال) بين الفعل والفاعل، أو الفعل ونائب الفاعل [51].

وهناك عناصر أخرى يُستَند إليها في تغيير البناء تبعاً لأغراض المتكلم. فبتوفر عنصري الإسناد قد يتم الاستغناء، أما العناصر التكميلية المغيّرة فتستغني بما بعدها لا بأنفسها [52].

وقد ميّز أحد الباحثين بين مكونات المستوى الأول الضرورية وعددها اثنان، وهما المسند والمسند إليه، وتقوم العلاقة الرابطة بينهما على الإسناد ووجودهما لازم لقيام الجملة، وبين مكونات المستوى الأول غير الضرورية [53] " وهي مكونات تتجدد وظيفتها لا بعلاقتها بالمسند أو بالمسند إليه كل على

---

(48) معاني النحو: 1/ 14، وينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي: 14.

(49) ينظر: مصطلح الكلام: 66.

(50) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 255.

(51) ينظر: المصدر نفسه: 250 - 251.

(52) ينظر: مصطلح الكلام: 66.

(53) ينظر: ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، محمد الشاوش: 247.

حده، إنما بعلاقتها المباشرة بالنواة الإسنادية... وما لم تتصل هذه المكونات بنواةٍ إسنادية فإنها لا تكون كلاماً مستقلاً، أي جملة " [54].

وهي تشتمل على المفعول به الأول، والثاني، والثالث، والمفعول معه، والمفعول المطلق، والمفعول فيه، والحال، والتمييز، والتوكيد [55]، " ولمّا كان اتصال هذه العناصر بالنواة الإسنادية شرطاً لازماً جاز أن نطلق عليها اسم متممات الإسنـــاد أو توسعاته " [56].

ومن أهم مكملات الجملة: (المفعول به)، وقد ورد هذا المصطلح عند سيبويه دون أن يقابل المصطلح بالمفهوم، أو يعنى بوضع تعريف محددٍ له [57].

ويمكن أن يدرس المفعول به بالمقارنة مع باقي مكملات الجملة من جوانب عدة هي:

1. **من حيث الإفادة والأهمية.**
2. **من حيث الوظيفة النحوية.**
3. **من حيث العلاقة بين العامل والمعمول.**

---

(54) المصدر نفسه: 250 .251.

(55) ينظر: المصدر نفسه: 251.

(56) المصدر نفسه: 251.

(57) أنظر على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في باب الفاعل في الكتاب: 1/ 54 - 55، وينظر: قضايا المفعول به عند النحاة العرب، د. محمد أحمد خضير: 15، 18.

أولاً / من حيث الإفادة والأهمية:

يحتاج المسند والمسند إليه إلى المتعلقات من المفاعيل ونحوها وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن المنصوبات قد اشتركت بمعنىً واحد هو التخصيص ،وهو معنى ذهني ونحوي يتولد من عملية ذهنية ينجزها المتكلم تتعلق بالإسناد في تضييق إطلاقه وتحديده [58]، وهي قرينةٌ معنويةٌ كبرى تتفرّعُ عنها قرائنُ معنويّةٌ أخص منها وهي قرينة التعدية وتدلّ على المفعول به، والغائية وتدلّ على المفعول لأجله، والمَعية وتدل على المفعول معه، والظرفية وتدل على المفعول فيه، والتحديدُ والتوكيد ويدل على المفعول المطلق، والملابسة وتدل على الحال، والتفسير ويدل على التمييز، والإخراج ويدل على الاستثناء، والمخالفة وتدل على الاختصاص [59].

ويرى الدكتور تمام حسان أن كلاً من هذه المكملات يُعبّر عن جهةٍ خاصةٍ في فهم معنى الحدث الذي يُشير إليه الفعل أو الصفة.

إنّ المفعول به في جملة (ضربَ زيدٌ عمراً) هو تعبيرٌ عن الجهة، كما أنّ التعدية تخصيصٌ لعلاقة الإسناد التي بين الضرب وبين من أسند إليه [60].

إذ يرتبط المفعول به مع فعله عن طريق دلالة الفعل على المجاوزة، وهي التعدية التي تتحقق بدلالة الفعل المعجمية من غير وسيلة أخرى، أو بوساطة وسيلة من وسائل التعدية، فضلاً عن ضرورة صلاحية الاسم

---

(58) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي: 179.

(59) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 194، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: 237 - 238، البحث الدلالي في كتاب سيبويه: 208.

(60) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 195.

للمفعولية- أي قبول وقوع الحدث الفعلي عليه- وهما جانبان معنويان، وهناك جانب لفظي هو العلامة الإعرابية التي تحدد موقع المفعول به في بناء الجملة [61].

ومن المكملات الأخرى ما يُعبّر عن أنواع أخرى من القرائن كقرينة النسبة التي تشتمل على الجرّ بالإضافةِ أو بحروفِ الجر، وقرينةِ التبعيّةِ، وتشتمل على التوابع الأربعة: النعت، والعطف، والتوكيد، والإبدال [62].

ولنا أن نتساءل هنا: هل يساوي المفعول به باقي مكملات الجملة في الأهمية؟

نرى أن من الباحثين المحدثين من فرّق في الأهمية بينهما، يقول ريمون طحان: -

" وقد يظن البعض أنّ المفعول (المفعول به) غير أساسيّ في الجملة، وأنه يمكن الاستغناء عنه دون أن يختلّ المعنى أو يفسد التركيب، وقد يطلق عليه هؤلاء أسم فضله ظناً منهم أنّ معناه غير أساسي للجملة بخلاف المسند إليه الذي لا يمكن أن يتم معنى الجملة الأساسي إلا به، والذي يسمى عمدة، فنقول إن المفعول من أركان الجملة ولا يصح حذفه ولا يمكن الاستغناء عنه"[63].

وتشير الدكتورة سناء البياتي إلى أن التحدث عن الأهمية الدلالية للمفعول به في الجملة لا يعني ضرورة وجود المفعول به في كل جملة فعلها

---

(61) ينظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف: 141، 143.

(62) ينظر: المصدر نفسه: 201 - 204.

(63) الألسنية العربية: 59.

متعدٍ لأن ذلك يرتبط بالغرض من الجملة، وقد يُستغنى عن المفعول به إن كان الغرض هو إثبات معنى الفعل نفسه للفاعل على الإطلاق أو نفيه عنه دون العناية بتعلقه بما وقع عليه، أي أن الفكرة الذهنية للمتكلم هي التي تحدد الحاجة لتخصيص الاسناد بذكر ما يقع عليه فعل الفاعل، أو عدم الحاجة لذلك [64].

ويرى ريمون طحان أن بابي اللازم والمتعدي ينبثقان كلاهما من الإسناد الضمني، ويعلل سبب عدّ العلماء المفعول به من الفضلات أن العربية خصّت المسند إليه بالضمة كما أنها خصت المفعول به بالفتحة، ولوجود حالات نحوية أخرى، وتعذر تشكيلها وتمييزها بحركات غير الفتحة تحلت هذه الحالات بالفتح، وأدى هذا الأمر إلى إدخال المفعول به في جعبة الفضلات أو ما يسمى بـ (مكملات الجملة)، ويرى أنّ المفعولية حالة أصلية لها ما للمسند إليه من حقوق [65]. كما أن " العرب اهتمت بالمفعول به اهتماماً يكادُ يُداني اهتمامها بالفاعل" [66]، وذلك " من حيث الرتبة والذكر والحذف وحقُّ الجوار بينهما، وتقارضهما [*] أحياناً، وتغليب أحدهما على الآخر أحياناً أخرى " [67].

---

(64) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: 181 - 185.

(65) ينظر: الألسنية العربية: 59 -60.

(66) ظاهرة التآخي في اللغة العربية، د. فاطمة عبد الرحمن: 1/ 238، وينظر الخصائص، ابن جني: 2/ 218.

(*) المقصود بالمقارضة بين الفاعل والمفعول في الحكم أن يُرفع المفعول ويُنصب الفاعل، نحو قولهم: كسَر الزجاجُ الحجرَ وخرقَ الثوبُ المسمارَ، ظاهرة التآخي في اللغة العربية: 1/ 243.

(67) ظاهرة التآخي في اللغة العربية: 1/ 238.

وإن عدنا إلى كتاب سيبويه، فإننا نلاحظ أنه قد أشار في مواضع متفرقة من كتابه إلى التراكيب غير الصحيحة نحوياً رابطاً إياها ببعض أبواب النحو، ومنه ما جاء في باب حذف المفعول به مؤكداً الأهمية الدلالية للمفعول به في الجملة [68]، وقد ميّز بين ما يحتاج من الأفعال إلى المفعول به (المتعدية)، وما لا يحتاج منها إلى مفعول به (اللازمة) يقول:

" وإذا قُلتَ: ضَرَبَ عبدُ الله لم يستبن أن المفعولَ زيدٌ أو عمرو " [69].

يقول الأعلم: " يُريد أن ضربَ عبدُ الله في تعديه إلى زيد ليس بمنزلة ذَهَبَ عبدُ الله في تعديه إلى الذهاب، وذلك إنكَ إذا قلت: ذهبَ عبدُ الله، فقولك: ذهَبَ يدل على ضرب من المصادِرِ والأحداث دون سائرها وهو الذهاب، وإذا قلت: ضَرَبَ عبدُ الله، أمكن أن يكون الضربُ واقعاًمن جميع الأسماء، فمفعولُ الضرب لم تدل عليه صيغة فِعله كما دلّ على المصدر " [70].

وقد ميّز سيبويهِ بوضوحٍ بين ما يتمّ به الكلام، وما يأتي بعد الكلام، فهو يشير إلى " ما ينتصب بالفعل المظهر والمضمر مما يكون من المصادر وما أجري مجراها بعد تمام الكلام " [71]:

---

(68) ينظر: الكتاب: 1/ 15، التراكيب غير الصحيحة نحوياً في (الكتاب) لسيبويه- دراسة لغوية، د. محمود سليمان ياقوت: 187 ، 195.

(69) الكتاب: 1/ 15.

(70) النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتمري: 1/ 165 - 166.

(71) الكتاب: 1/ 367- 370، ويُنظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 68، 354 .

تمام الكلام	ما بعد تمام الكلام من المصادر
الفعل + الفاعل + المفعول	المفعول له / الحال / التوكيد
فعلتُ ذلك	(لم؟) حذار الشر
قتلتُه	(كيف؟) صبراً
{حُرّمت عليكم أمهاتكم}	(هل هذا مثبت؟) {كتاب الله}

[النساء /23، 24] [72].

يتضح مما تقدم أنّ سيبويه قد فرّقَ من حيث الأهميّة بين المفعولِ به الذي يتم به الكلام، وبين ما يأتي بعد تمام الكلام في الجملةِ من المكملات الأخرى.

أي أن علاقة الإسناد الضمني في الحالتين ستختلف في وجوب وجود المفعول به بوصفهِ جزءاً من عمليةِ الإسناد الضمني، وورود باقي مكملات الجملة بوصفها عنصراً غير ضروريٍّ للتركيب [73]، إذ إنها جميعاً ضروريةٌ في إتمام المعنى المطلوب كالآتي: -

(72) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 354-358، ويُنظر: الكتاب: 1/ 382-384.

(73) الألسنية العربية: 65.

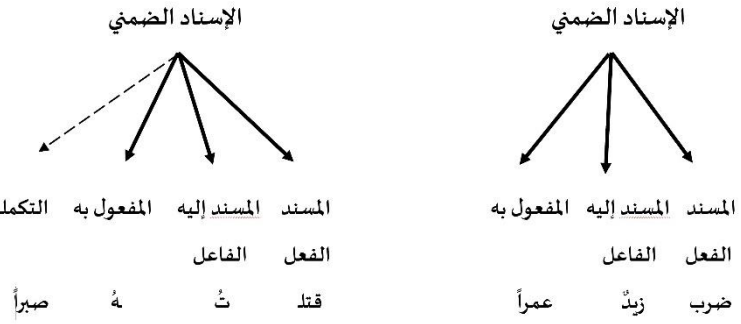

إن الخط المتقطع في الخُطاطة أعلاه يدل على أنّ (التكملة) ليست ضرورية للتركيب كضرورة المسند إليه والمفعول به [74]، ذلك أن " المفعول منصوب لوقوع الإسناد عليه، وهو يستمدُّ قوته من الإسناد الضمني مباشرةً " [75].

لقد عدّ سيبويه المفعول به مكملاً إجبارياً مع الأفعال التي تتعدى إلى مفعول واحد، وهذه الجمل تعد نمطاً أساسياً من أنماط الجملة الفعلية في العربية [76].

وقد ميّز أيضاً بين ما يتم به الكلام بوساطة مفعولٍ واحد، وما يتم به الكلام بوساطة مفعولين أو ثلاثة ولا يجوز الاقتصارُ على أحدها، يقول:-

---

(74) يُنظر: المصدر نفسه: 64.

(75) المصدر نفسه: 62.

(76) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحله: 123 - 124، التحويل في النحو العربي مفهومه- أنواعه- صوره، رابح ابو معزة: 16.

" هذا بابُ الفاعل الذي يتعداه فِعله إلى مفعولين، وليسَ لكَ أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر، وذلك قولك: حَسِبَ عبدُ الله زيداً بكراً... الخ " [77].

ويقول: " هذا باب الفاعل الذي يتعداه فِعلُهُ إلى ثلاثة مفعولين، ولا يجوز أن تقتصر على مفعول منهم واحد دون الثلاثة... وذلك قولك: أرى اللهُ بشراً زيداً أباك... الخ " [78].

ويقول: " هذا بابُ المفعول الذي يتعداه فِعلُهُ إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على واحدٍ منهما دون الآخر، وذلك قولك: نُبئت زيداً أبا فلان... الخ " [79].

وقد أشارَ أيضاً إلى الحالات التي يجوزُ فيها الاقتصار على المفعول الأول، ويجوز فيها أن يتعدى إلى الثاني يقول: -

" هذا بابُ الفاعل الذي يتعداه فِعلُهُ إلى مفعولين، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأولِ، وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول " [80].

كما أشار إلى جواز حذف المفعولين معاً مع الفعل (ظن) الذي يجوز فيه ما لا يجوز في غيره يقول:

---

(77) الكتاب: 1/ 39، ويُنظر: شرح جمل سيبويه، محمود سليمان ياقوت: 1/ 24 - 25.

(78) الكتاب: 1/ 41.

(79) المصدر نفسه: 1/ 43 .

(80) المصدر نفسه: 1/ 37 .

" وأما ظننت ذاك، فإنما جاز السكوت عليه لأنك قد تقول ظننت فتقتصرُ، كما تقول ذهبت، ثم تعمله في الظن كما تعمل ذهبت في الذهاب، فذاك ههنا هو الظن، كأنك قلت: ظننت ذاك الظن، وكذلك: خلتُ وحسبت ويدلك على أنه الظن أنك لو قلت: خلتُ زيداً وأرى زيداً لم يجز " [81].

ويظهر في النص المتقدم تأكيد سيبويه ضرورة وجود المفعول به في الجملة لأهميته الدلالية، مع اختصاص الفعل ظن دون سواه بجواز حذف مفعوله[82].

إنَّ إشارات سيبويه السابقة تؤكد حقيقة أنّه لاحظ الأهمية الخاصة للمفعول به في إتمام معنى الجملة، وتحقيق القصد وتمام الفائدة، وهو قد فرّق في ذلك بين نوعين من الجمل:

1. الجمل التي لا تستغني عن المفعول به الثاني والثالث في إتمام معناها، وذلك حين يكون المفعول الثاني بمنزلة الخبر عن المفعول الأول [83]، إذ يؤكد سيبويه " أثر البنية الدلالية للأفعال القادرة على اتخاذ مفعولين، واستيعاب دلالتهما، وحدوث فجوة دلالية فيها بالاقتصار على أحدهما " [84].
2. الجمل التي يمكن أن تستغني عن المفعول به الثاني، وتكتفي بالأول، ويظلّ معنى الجملة صحيحاً.

---

(81) المصدر نفسه: 1/ 61.

(82) ينظر: التراكيب غير الصحيحة نحوياً في (الكتاب) لسيبويه: 195 - 196.

(83) ينظر: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: 365 - 366 .

(84) البحث الدلالي في كتاب سيبويه، دلخوش جار الله حسين دزه يى: 207.

كما إنه لاحظ تفوّق المفعول به الأول من حيثُ الأهمية في الجملة، إذ إن الفعل المتعدي محتاج دائماً إلى المفعول به ظاهراً أو مقدراً.

وتجدر الإشارةُ إلى أنّ من الباحثين المحدثين مَن يرى أنّ " الفرق بين المفعول به الأول والثاني والثالث لا يقوم على الموقع والترتيب، إنما يقوم على اختلافٍ في العلاقات بين كلّ واحد منها وبين سائر عناصر الجملة، أي إنه فرقٌ من حيث الوظيفة، وتظلُّ تلك العلاقات كما هي، لا يؤثر فيها الترتيب، ولا الحذف، ولا نوع المركب الذي ترد فيه " [85].

ويرى أن يُعَوّض عن المصطلحات القائمة على مجرد الترتيب (أولٌ وثانٍ وثالث) بأخرى تراعي جانب الاختلاف في الوظيفة [86].

وعلى الرُغم من كُلّ هذا التركيز على أهميّة الدور الذي يؤديه المفعول به في الجملة، فلابُدّ من التأكيد أنّ استخدام مصطلح (التكملة)، أو (متممات الجملة)، أو (التوسعة) " لا يعني بالضرورة ما ليس له قيمةٌ معنوية أو ما كان ذا قيمةٍ ثانويةٍ، إذ قد يكون للتوسعة من حيث الكمية الإخبارية قيمة تفوق قيمة النواة الاسنادية، كما في قولنا: " ذبَحَ الجزارُ ابنه " أو في قولنا: " حضر الطبيبُ بعد فوات الأوان " أو في قوله تعالى: **{فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون- الماعون / 5.4}** " [87]. أي إنّ باقي مكملات الجملة لا يَقِلُّ أهميةً عن رُكني الإسناد والمفعول به في التعبير عن المعنى المقصود بأدق صورةٍ، وأتمّ معنى، وقد سبقت الإشارة إلى الدور المحوري الذي أدته كلمتا

---

(85) ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية: 252.

(86) يُنظر: المصدر نفسه: 253.

(87) المصدر نفسه: 252.

(لاعبين) و (مرحاً) في إيصالِ المعنى المقصود إلى المتلقي. فقد يحتاج القارئ أو المخاطب إلى معرفة أمورٍ إضافيةٍ [88]، " وقد تكون تلك الحاجَةُ قائمة على طلب مَزيدٍ من المعلومات، إذا تركت ضاع شيءٌ من الفائدة، وأصبَحَ الخبرُ خلواً مما يتطلبُهُ المخاطب أو القارئ " [89]، ذلك أنَّ مكملات الجملةِ تكشِفُ شيئاً من الإبهام الذي يكتنِف بعض جوانب الجملة[90].

ثانياً / من حيث الوظيفة النحوية:

إنّ وظيفة (المفعولية) هي واحدةٌ من معاني الأبواب النحوية الخاصة، أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والإضافة [91].

وترتبط المعاني الخاصة بمجموعةٍ من العلاقات حتى تكون صالحةً عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقةِ الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعيّة، وهذه العلاقات هي في الحقيقة قرائن معنوية على معاني الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية [92].

إنّ الوظيفة هي المعنى الذي تؤديه الكلمة في التركيب [93]، كما أن الصيغة النحوية الواحدة قد تتحدُ لما لا يحصى من الجمل التي يختلفُ سطحها من جملةٍ إلى أخرى، فإذا أخذنا مثالاً لذلك الصيغة النحوية الآتية:

---

(88) ينظر: الألسنية العربية: 71.

(89) المصدر نفسه: 71 - 72.

(90) يُنظر المصدر نفسه: 72.

(91) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 178.

(92) ينظر: المصدر نفسه: 178.

(93) ينظر: مصطلح الكلام: 72.

فعل + فاعل + مفعول به

نلاحظ أن الكلمة تتفاعلُ مع وظيفتها تفاعلاً يكسبُها معنىً خاصاً. وقدرةُ الوظيفة النحويـة على التفاعل مع كُل كلمةٍ قدرة هائلةٌ لأن هناك عنصراً مهماً يتفاعلُ معها هو عنصُرُ الموقف والسياق [94].

إن نموذج النحو الوظيفي هو " ذلك النموذج الذي يركز في في تحليله للتراكيب اللغوية على وصفها، وتفسيرها في حالة تأدية أغراض بعينها، في مقامات محددة بالنظر إلى الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل، وبمراعاة علاقة البنيات بالوظائف التي تؤديها في الكلام، فبحسب المعاني المقصودة تكون البنيات " [95].

وفي ضوء المنهجية التي أرسى أسسها النحو الوظيفي، يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الوظائف التي يضطلع بها المفعول به في الجملة، وهي:

1. **الوظائف الدلالية**
2. **الوظائف التركيبية**
3. **الوظائف التداولية**

---

(94) يُنظر النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف: 180.

(95) الوظيفية في كتاب سيبويه، رجاء عجيل الحسناوي: 8- 9.

إذ تحدد الوظائف الدلالية الأدوار التي يقوم بها المشاركون في الواقعة الدال عليها المحمول في مستوى الإطار الحملي، وتقوم البنية العامة للحمل على محمول، وموضوعات، ولواحق.

ويتألف الحمل من محمول، وعدد معين من الحدود، إذ تشتمل البنية الدلالية للجملة على محمول يدل على واقعة (عمل، أو حدث، أو وضع، أو حالة)، وعدد من الحدود التي تدل على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها المحمول.

وتقوم الجملة بوصفها تعبيرا عن حدث على عدة مفاهيم دلالية وهي: الحدث، والمشاركون في الحدث وهم: (المنفذ) بوصفه الذات المحدثة للحدث، و (المستقبل)، و (المتقبل) بوصفهما الذات محط تأثير الحدث، وظروف الحدث وهي الذوات التي تقوم بدور ثانوي بالنسبة للحدث كظرف الزمان، والمكان، والأداة، وغيرها.

وتصنف الوظائف الدلالية من حيث أهمية الدور الذي تقوم به إلى صنفين: وظائف مركزية، ووظائف هامشية. إذ تسند الوظائف المركزية إلى الحدود الموضوعات، في حين تسند الوظائف الهامشية إلى الحدود اللواحق في الجملة.

وتظهر الوظيفة الدلالية للمفعول به في الجملة بوصفه عنصراً متقبلاً يمثل الذات محط تأثير الحدث كما في المثال الآتي:

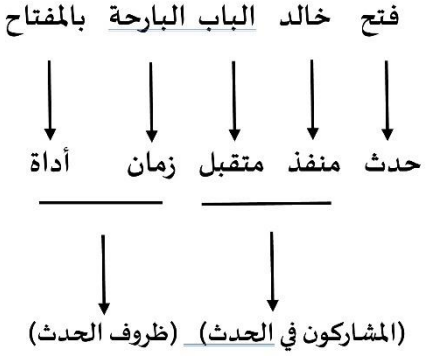

فالمفعول به يمثل حداً مساهماً في تعريف الواقعة، إذ يدل الحد (الباب) على متقبل الواقعة.

وقد يرد المفعول به في الجملة بوصفه عنصراً مستقبلاً وعنصراً متقبلاً، ومثال ذلك:

أعطى خالدٌ زينبَ الكتابَ البارحةَ أمامَ المكتبةِ.

فالحد المستقبل: (زينب)، والحد المتقبل: (الكتاب) يسهمان في تعريف الواقعة ذاتها [96].

وفي ضوء الوظائف التركيبية من منظور النحو الوظيفي، تُعرف الوظيفتان التركيبيتان الفاعل والمفعول به في إطار مفهوم (الوجهة)، إذ يدل محمول الحمل على واقعة تكون إما عملاً، أو حدثاً، أو وضعاً، أو حالة،

(96) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا- نموذج النحو الوظيفي، علي آيت أوشان: 154، 182، اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري، د. أحمد المتوكل: 122، 144، من البنية الحملية الى البنية المكونية- الوظيفة المفعول في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل: 58.

وتقدم الواقعة حسب وجهة معينة، أي حسب وجهة أحد حدود الحمل التي تؤدي وظائف دلالية مختلفة باختلاف دورها في الواقعة الدال عليها المحمول.

ويمكن التمييز بين منظورين للوجهة التي تقدم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل: المنظور الرئيسي، والمنظور الثانوي، إذ تسند الوظيفة (الفاعل) الى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة، وتسند الوظيفة (المفعول) الى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تقدم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن المفعول به أقل أهمية من الفاعل، وإنما يدل ذلك على اختلاف الوظيفة التركيبية للمفعول من جملة الى أخرى بناءً على الوجهة المعتمدة في تلك الجملة، ولتوضيح ذلك يمكننا أن نتناول الأمثلة الآتية:

1. كسرَ الطفلُ الكأسَ

2. كُسر الكأسُ

3. استقبلَ خالدٌ هنداً

4. استُقبلت هندٌ

إذ نلحظ أن واقعتي الكسر والاستقبال المدلول عليهما في المثالين السابقين مقدمتان من وجهتين مختلفتين.

ففي الجملة الأولى تنقسم واقعة الكسر الى منظورين اثنين: منظور رئيسي، ومنظور ثانوي. إذ يشكل المنظور الرئيسي للوجهة فيها الحد المنفذ

(الطفل) وهو عنصر (الفاعل)، ويشكل المنظور الثانوي فيها الحد المتقبل (الكأس)، وهو عنصر (المفعول به).

أما الجملة الثانية، فقد قُدمت الوجهة فيها لواقعة الكسر من منظور الحد المتقبل أي (المفعول به) الذي مثل الأساس الذي عُرضت في ضوئه هذه الوجهة.

وفي الجملة الثالثة قُدمت واقعة الاستقبال انطلاقاً من الحد المنفذ (خالد) وهو (الفاعل) الذي يشكل المنظور الأول للوجهة، أما الحد المتقبل (هنداً) وهو (المفعول به) فيشكل المنظور الثاني للوجهة.

أما الجملة الرابعة فقد احتل المنظور الثانوي فيها موقعية المنظور الرئيسي للوجهة، فكان الحد المتقبل (هندٌ) هو الأساس الذي عُرضت الوجهة اعتماداً عليه [97].

وتظهر الأهمية الوظيفية التي يضطلع بها المفعول به في الجملة حين يؤدي وظيفة (البؤرة) وذلك في ضوء الوظائف التداولية التي أكدتها منهجية النحو الوظيفي.

وتسند الوظائف التداولية إلى مكونات الجملة بالنظر إلى ما تحمله هذه المكونات من معلومات، وإلى العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة، أي إنها تتمثل في العلاقات القائمة بين مكونات الجملة في ضوء البنية الاخبارية المرتبطة بالمقام [98].

---

(97) ينظر: من البنية الحملية إلى البنية المكونية: 17- 20، 60.

(98) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا: 183.

وتسند وظيفة البؤرة " إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الجملة " [99].

وبعبارة أخرى البؤرة " هي العلاقة التداولية التي يحملها المكون الحامل للمعلومة المجهولة أو المعلومة المتردد في ورودها (أو المنكر ورودها) " [100].

ومن حيث طبيعة وظيفة البؤرة يمكن التمييز بين نوعين من البؤرة المسندة إلى المفعول به في البنيات الوظيفية للجملة: بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة [101].

إذ " تسند بؤرة الجديد إلى المكون المفعول الدال على المعلومة التي يجهلها المتكلم (في حالة الاستخبار)، أو المخاطب (في حالة الإخبار) " [102].

ومثال ذلك:

أ. من قابلتَ هذا الصباح؟
ب. قابلتُ هنداً.

أ. ماذا قرأتَ البارحة؟

---

(99) الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل: 28.
(100) اللسانيات والبيداغوجيا: 145.
(101) ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: 28، من البنية الحملية الى البنية المكونية: 69، اللسانيات والبيداغوجيا: 146.
(102) من البنية الحملية الى البنية المكونية: 70، وينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: 28 - 29.

ب. **قرأتُ البارحة كتاباً.**

وقد ميز الدكتور أحمد المتوكل داخل بؤرة الجديد نفسها بين بؤرتين فرعيتين هما (بؤرة الطلب) التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يطلب المتكلم إضافتها إلى مخزونه، و (بؤرة التتميم) التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المضافة.

فبؤرة الطلب في الأمثلة السابقة هي (من) و (ماذا)، وبؤرة التتميم هي (هنداً) و (كتاباً).

أما بؤرة المقابلة فتسند إلى المكون المفعول إذا كان يدل على المعلومة التي يتردد المتكلم (في حالة الاستخبار) في ورودها، أو المعلومة التي ينكر المخاطب (في حالة الإخبار) ورودها. أي أنها تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يختلف المتكلم والمخاطب في ورودها.

ويتبين ذلك في البنيات الوظيفية للجمل الآتية:

أ. **أروايةً كتب خالدٌ؟**
ب. **شعراً كتب خالدٌ.**

أ. **لقد قابلت زينب هذا الصباح.**
ب. **لا، هنداً قابلت هذا الصباح.**

ومن الباحثين من فرّع بؤرة المقابلة مميزاً بين خمس بؤر هي:

1. **بؤرة التعويض**، نحو:

- **لقد قابلت زينب هذا الصباح.**

- لا، هنداً قابلت هذا الصباح.

2. بؤرة الحصر، نحو:

- لا، ما قابلت إلا هنداً هذا الصباح.

- لا، إنما قابلت هذا الصباح هنداً.

3. بؤرة التوسيع، نحو:

- لم أقابل زينب فحسب، بل كذلك هنداً.

4. بؤرة الإبطال، نحو:

- لا، لم أقابل زينبَ.

5. بؤرة الانتقاء، نحو:

- أتشرب شاياً أم لبناً؟

- لبناً، من فضلك [103].

إذ يبدو جلياً في الأمثلة السابقة أن المفعول به يمثل البؤرة في البنيات الوظيفية للجمل.

(103) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية- دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د. أحمد المتوكل، 126 - 127، الوظائف التداولية في اللغة العربية، 30، اللسانيات والبيداغوجيا: 146، من البنية الحملية إلى البنية المكونية: 70.

وبالعودة الى سيبويه نلحظ أنه قد أشار في كتابه إلى دور المعنى الوظيفي في صياغة الحركة وتعيينها [104]، وقد كان " يعتمدُ طريقة التركيب والتحليل معاً، فقد كان يُحلّلُ التركيب لبيان وظيفة كُل مفردةٍ فيه، وتقرير أنّ الإعراب إنما هو وليدُ تلكَ الوظيفة " [105].

وقد سعّى الدكتور البكاء هذا الجانب الواسع من عَمَل سيبويهِ بالتقويم النحوي الوظيفي، وذلك من حيث تحديد نوع الأسلوب اللغوي، وتحليله وتعيين وظيفة المفردة فيه، ذلك أنّ التقويم الوظيفي يُعنى بالمعاني النحوية الوظيفية وأحكامها [106].

ومن الإشارات الدقيقة لسيبويه فيما يتعلّق بالجانب الوظيفي للمفعول به في نيابته عن الفاعل، هو تسميته لنائب الفاعل بـ" المفعول الذي لم يتعدّ إليه فعل فاعل " [107]، وهو هنا يُلاحظ ما تختص به النواة الإسنادية التي تتألف من (الفعل + نائب الفاعل)، فنائب الفاعل يردُ في سياقات كثيرة معبراً - في الحقيقة - عن المفعول به، ذلك أنّ " المفعول به أكثر الأسماء نيابةً عن الفاعل، وهو الأصل فيها " [108].

" فإذا اعتبرنا أن علامة الرفع ووظيفة المسند إليه ليستا مقصورتين على الفاعل وأن الجمل التي تتضمن نائب الفاعل... لها في اللغة وجودٌ حقيقي

---

(104) ينظر: مصطلح الكلام: 72.

(105) منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 11.

(106) ينظر: المصدر نفسه: 11.

(107) الكتاب: 1/ 14.

(108) ظاهرة التآخي في اللغة العربية: 1/ 239.

ويمثل كياناً قائم الذات لا نمطاً متفرعاً عن أصل أعم، جازَ لنا أن نسندَ إلى هذه النواة الإسنادية من الاستقلال والأهمية ما نسنده إلى سائر النويات، وأن نرى فيها نموذجاً من الجمل نلتجئ إليه للتعبير عن تجارب معينة بإسناد الفعل إلى المفعول، وعدم التصريح بالفاعل، وقد يكون ذلك لجهلِه أو لتجاهلُه " [109].

وبناءً على هذا المفهوم، يكون المفعول به في هذه الحالة جزءاً من النواة الإسنادية، لا بصفَته نائباً عن الفاعل، ولكن بوصفه مفعولاً أطلق عليه أحد الباحثين اسماً مقتبساً مما أطلقه عليه النحاة الأوائل بدءاً بسيبويه " وهو مفعول المجهول، ونعوض نموذج النواة الإسنادية القائم على الفعل ونائب الفاعل بالنموذج التالي: فعل + مفعـول المجهول " [110].

فعند حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول، يصبح المفعول عنصراً أساسياً من عنصري الجملة النواة، مسنداً إليه الفعل، وقد أطلق عليه أحد الباحثين مصطلح (الفاعل التركيبي) [111].

إنّ هذا التقارب بين الفاعل والمفعول حمل العرب على أن يجعلوا المفعول خلفاً للفاعِلِ عنـد عدمه [112].

---

(109) ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية: 250.

(110) المصدر نفسه: 250 .

(111) ينظر: الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه: 63.

(112) ينظر ظاهرة التآخي في اللغة العربية: 1/ 242.

وهذا الأمر من جهة أخرى، يؤكد حقيقة المكانة المتميزة للمفعول به من حيثُ الأهمية والوظيفة، والتي تتجاوزُ أهمية باقي مكملات الجملة، مع التأكيد دائماً على أنها جميعاً ضروريّةٌ في تأديةِ المعنى المقصود.

ولمّا كان سيبويه معتمداً في مختلفِ مواضِع كتابه على نظريّة العامل التي تقوم على العلاقةِ بين العَامل والمعمول، فقد حاول تحديد المعنى الذي تدلّ عليه مكملات الجملة في ضوء مفهوم العلاقة بين العامل ومعموله، وهذا الجانب هو ما اشتملت عليه السطور الآتية.

ثالثاً / من حيث العلاقة بين العامل والمعمول:

إنّ فكرة العمل النحوي تقوم على العلاقة بين العامل والمعمول، وليست العلاقة هي العامل النحوي [113]، ولقد تنبه سيبويه إلى الفارق بين العلاقة والعامل، فأشار إلى مجموعةٍ من العلاقات:

فهو يرى أنّ المفعول به يدخلُ في علاقة التعدية، أما باقي المكملات، فتتوزعُ على جملة من العلاقات:

علاقة التعدي ⟵ المفعول به، المفعول المطلق، الزمان، المكان

علاقة التطابق ⟵ بين الصفة والموصوف، بين البدل والمبدل منه

علاقة الخلاف ⟵ التمييز، الحال، المفعول له، التوكيد

(113) ينظر منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 267.

علاقة الإضافة ⟵ الجاروالمجرور، المضاف والمضاف إليه [114]

يتضح لنا مما تقدم أن سيبويه يرى أنّ المفعول به لا يُعبّرُ إلا عن علاقة التعدي، في حين تُعبّر باقي المكملات عن علاقة التعدي، والتطابق، والخلاف، والإضافة، ويظهرُ جلياً أن سيبويه ميّز بين أنواع هذه العلاقات بشكل دقيق.

أما المفعول معه، فقد أشار إليه سيبويه في أبواب إضمار الفعل المتروك إظهاره، وهو يرى أنه " صورة خاصة من المفعول به " [115]، يقول سيبويه: -

" هذا بابُ ما يظهر فيه الفعلُ وينتصبُ فيه الاسم لأنه مفعولٌ معه ومفعولٌ به... وذلك قولك: ما صنعتَ وأباك... " [116].

ويرى سيبويه في " دع امرءاً ونفسه " أن " الاسم الأول منصوب بالفعل المظهر نفسه، وأما الآخر فإنه منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ لا يجوز إظهاره، وهو يلابس الفعلَ المظهر " [117].

---

(114) ينظر المصدر نفسه: 251- 260.

(115) منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 66.

(116) الكتاب: 1/ 297 .

(117) المصدر نفسه: 1/ 300.

الفصل الثاني

جملة المفعول به عند سيبويه
في ضوء المستويين الثابت والمتحرك

إضاءة...

الجملة بين مستويي الحركة والثبوت، ومعيار الحجم:

يُمكنُ أن تُدرَسَ الجملةُ من زوايا متعددة، وذلك تابعٌ إلى الزاوية التي يُنظر منها إلى الجملة، وبتعدُّدِ زوايا النظر، تتعددُ المناهج، فقد يُنظر إلى الجملة على وفق مستوياتٍ، ومعايير مختلفة منها: -

1. مستويا الحركة والثبوت:

إنّ الحركة والثبوت هنا لا يعنيان ما جاء به دي سوسير في التفرقة بين منهجين في الدراسة اللغوية، هما المنهج التاريخي الذي يُسمى أيضاً الديناميكي، أو الحركي، أو الرأسي، ويقوم بدراسة التغيرات اللغوية، والمنهج الوصفي ويسمى أيضاً الثبوتي، أو السكوني، أو الأفقي، ومهمته الأساس وصف اللغة [118].

وإنما المقصود هنا ملاحظة الفارق بين الجملة الأساس في اللغة العربية من جهة، والجملة التي تتعرض للتغيُّر من جهة أخرى.

فالمقصود بالمستوى الثابت:

(118) ينظر منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: 37.

أن تُدرَس الجملة الأساس في اللغة العربية، التي تطابق صورتها الخارجية (السطحية) صورة بنيتها الداخلية (العميقة)..

وبعبارةٍ أخرى: هو المستوى الذي تُدرس من خلاله البنية الأساس للجملة، قبل أن يطرأ عليها أيّ شكلٍ من أشكال التغيير الأفقي، والرأسي، والموضعي.

أما المستوى المتحرك، فيعني:

أن تُدرس الجملة التي تتعرض للتغيير، والتغييرُ هنا نابعٌ من حركة الجملة:

بصورةٍ أفقية، كما هو الحالُ في التقديم والتأخير [119]، أو ما اصطُلِحَ عليه بموضـوع (الرُتبة).

أو بصورةٍ رأسيةٍ، وذلك في عملية جذبٍ لمفردات التركيب تتمحْوَرُ في عمقٍ رأسي، كما هو الحال في العطف [120].

أو بصورةٍ موضعيةٍ، حيث تتحرك الصيغةُ، أو الكلمةُ في موضعها حركةً داخليةً، كما هو الحال في الحذف [121].

2. معيار حجم الجملة:

" أي عدد العناصر المفردة التي تكوّنها، والتي يشغَلُ كلٌ منها موقعاً نحوياً معيناً" [122].

---

(119) ينظر بناءُ الجملة في كتاب الأصول لابن السراج في ضوء علم اللغة الحديث، أمل حامد بدر: 127.

(120) ينظر المصدر نفسه: 137.

(121) ينظر المصدر نفسه: 156.

(122) جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه، محمود شرف الدين: 21.

وبناءً على هذا الأساس، تُقسَمُ الجملةُ العربية على قسمين:

1. **جملةٌ ذات مو اقع نحويةٍ متعددة، (الو افية).**
2. **جملةٌ ذاتُ موقع نحويّ واحد، (الكافية).** [123]

وسيكون الاعتماد في هذا القسم من البحث على المستويين الثابت والمتحرك بشكل أساس، مع الإشارة الضمنية إلى مستوى حجم الجملة أحياناً.

(123) يُنظر: المصدر نفسه: 21.

المبحث الأول

جملة المفعول به عند سيبويه في ضوء المستوى الثابت

جملة المفعول به الثابتة عند سيبويه من حيث الاستقامة والإحالة

(نظرةٌ إلى المعنى النحوي الدلالي عند سيبويه):

ربط سيبويه النحو بالدلالة مميزاً بين الكلام المستقيم والمحال، وهو هنا تمييز بين الخطأ والصواب [124] رابطاً بصورة مباشرة بين بعض التراكيب غير الصحيحة نحوياً والمعنى [125].

إنّ في حديث سيبويه عن الكلام المستقيم والمحال إشارات دقيقة ربط بها بين قوانين النحو والدلالة، " أو بعبارةٍ أخرى قوانين المعنى النحوي الأولي وتمثله الوظائف النحوية المختلفة مع قوانين دلالة المفردات الأولية وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة، وتمتزج فيما يمكن أن يسمى: (المعنى النحوي الدلالي) " [126].

---

(124) ينظر: نحويّ عربي من القرن الثامن (للميلاد): 31.

(125) ينظر: التراكيب غير الصحيحة نحوياً في (الكتاب) لسيبويه - دراسة لغوية: 269-272.

(126) ينظر: النحو والدلالة: 61.

إذ إنه لم يهمل المعنى، كما هو حال بعض المدارس الوصفية الحديثة، رابطاً بين المعنى والشكل أو اللفظ [127].

وقد ميز بين خمسة أنواعٍ من الكلام، والكلام هنا يساوي الجملة [128]:

1. المستقيم الحسن:

أتيتك أمس.

سآتيك غداً [129].

والمستقيم يُقابل الصحيح ضمن معنىً ملائم أو مناسب أو صائب اجتماعياً [130]، إذ يؤدي به المتكلمُ دوره الاجتماعي في التواصل والتخاطب [131]، أي إنّ المستقيم الحسن من الكلام هو " الذي يتماشى مع قواعد تركيب الجملة العربية صوتياً، وتركيبياً، ودلالياً " [132]، وهو يعرف ويتميز عن غيره من خلال مراعاة " سياق الجملة، وما يحيط بمفرداتها من أحوال وأوضاع " [133].

---

(127) ينظر: أئمة النحاة في التاريخ، د. محمد محمود غالي: 58 ، علم اللغة الحديث ، محمد حسن عبد العزيز: 319 -324 ، في علم اللغة ، غازي مختار طليمات: 111-112.

(128) ينظر: النحو والدلالة: 62.

(129) ينظر الكتاب: 1/ 25.

(130) ينظر نحويّ عربي من القرن الثامن (للميلاد): 31.

(131) ينظر: المصدر نفسه: 32.

(132) شرح جمل سيبويه: 1/ 19.

(133) موضوعات في نظرية النحو العربي: 107.

2. المستقيم القبيح:

قد زيداً رأيت.

كي زيدٌ يأتيك [134].

إنّ الاستقامة هنا تعود إلى استقامة الدلالة، والكلام (قبيح)؛ للخلل النحوي الذي طرأ على بناء الجملة [135].

3. المستقيم الكذب:

حملتُ الجبلَ.

شربتُ ماءَ البحر [136].

إنّ بنية هاتين الجملتين صحيحةٌ نحوياً، كما أن الكذب هنا ليس كذباً أخلاقياً وإنما هو كذب دلالي [137]، وقد تمثل هذا الكذب الدلالي في علاقة " حملت " [الفعل والفاعل] بوصفها صيغةً نحوية ومدلولاً معاً بـ (الجبل) من حيث هو مفعول به، أي صيغة نحوية ومدلول معاً [138].

---

(134) ينظر: الكتاب: 1/ 25 - 26

(135) ينظر: النحو والدلالة: 66.

(136) ينظر: الكتاب: 1/ 26.

(137) ينظر: النحو والدلالة: 68.

(138) ينظر: المصدر نفسه: 68 - 69.

ويظهر هنا مدى اعتماد سيبويه على المكون الدلالي في استخدامه لمصطلح (المستقيم الكذب) " فعدم مقبولية هذا المصطلح راجع إلى الإخلال بقواعد الإسقاط الدلالية، والسمات الانتقائية " [139].

ويمكن أن تكون حملت الجبل من المستقيم الحسن إن كان المقصود بها هو المعنـى المجازي [140].

4. المحـال

أتيتك غداً.

سآتيك أمس.

وهو أن تنقض أول كلامك بآخره [141].

إنّ الكلام المحال لا يعني شيئاً بالنسبة للمخاطب [142]، فهو يشير إلى ألفاظ لا يمكن أن تصلح للتواصل [143]، كما أنّ الكلام المحال يحتوي على إساءةٍ إلى بنية اللغة وعرفها الاجتماعي [144].

---

(139) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، د. حسام البهنساوي: 51.

(140) ينظر: النحو والدلالة: 77.

(141) ينظر: الكتاب: 1/ 26.

(142) ينظر: نحوي عربي من القرن الثامن (للميلاد): 32.

(143) ينظر: المصدر نفسه: 31.

(144) ينظر: المصدر نفسه: 33.

5. المحـال الكذب

سوف أشرب ماء البحر أمس [145].

" وكان من الممكن أن يضاف الى هذه المعاني المحال القبيح مثل أمس سآتيك، ولكن سيبويه لم يكن يعنى بتحليل المعنى قدر اهتمامه بتحليل الشكل " [146].

ويمكن هنا أن نلحظ الصلة الواضحة بين مصطلحي (الكلام المستقيم) و(الكلام المحال) عند سيبويه، ومصطلحي (الكلام الأصولي) و(الكلام غير الأصولي) عند تشومسكي [147].

ويظهر أن جميع الأمثلة التي أوردها سيبويه هنا تتجاوز ركني الإسناد لتُعبّر عن معانٍ أوسع بوساطة مكملات الجملة التي تتألف من المفعول به بوصفه العنصر الثالث الذي يتألف منه الإسناد الضمني، وقد تنوع هنا بين الاسم الظاهر المعرّف بأل: (الجبل)، والإضافة (ماء البحر)، والضمير: (الكاف). فضلاً عن باقي مكملات الجملة، التي ظهرت في الأمثلة وهي ظرفا الزمان (أمس) و (غداً).

والأمر اللافت للنظر هنا أن تحديد نوع الكلام من حيثُ الاستقامة والإحالة قد اعتمد بصورةٍ مركزيةٍ على وجود ظرفي الزمان بوصفهما مكملين لمعنى الجملة، وهذا الأمر يقودنا إلى التأكيد - مرةً أخرى - أنّ سيبويه قد مازج

---

(145) ينظر: الكتاب: 1/ 26.

(146) أئمة النحاة في التاريخ: 58.

(147) ينظر: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث: 47 - 48.

في دراستِه اللغوية بين مفهومي الإسناد والبناء، ولاحظ القيمة المعنوية لباقي مكملات الجملة، ذلك أنّ تفسير المعنى الدلالي للجمل يرتبطُ بمجموعةِ العلاقات التي تربط بين أجزاء الجمل وتؤلف بينها.

ويلاحظ هنا أن سيبويه قد راعى في تقسيمه الكلام كلاً من المستوى النحوي (الشكلي) القائم على الارتباطات النحوية الإسنادية بين كلمات الجملة، والمستوى الإبلاغي القائم على ارتباط معنى الكلام بسياق الحال الذي تقال فيه الجملة [148].

صورُجملة المفعول به الثابتة عند سيبويه:

أ / جملة المفعول به الفعلية عند سيبويه:

ميز العلماء بين الجملة الدنيا أو الجملة النواة المقصورة على نواتها الإسنادية (المسند والمسند إليه) دون أية توسيعات، والجملة الموسعة التي تتجاوزهما لتشتمل على عناصر توسيعية إضافية، ومنها الجملة التي تتضمن المفعول به [149].

كما صُنفت الأفعال بناءً على احتياجها إلى عناصر توسيعية (المفعول به)، أو عدم احتياجها، إلى أربعة أصناف:

" صنف لا يحتاج إلى عنصر توسيعي (أفعال لازمة)، وثانٍ يحتاج إلى عنصر واحد (أفعال متعدية)، وثالثٌ يحتاج إلى عنصرين (أفعال متعدية

(148) ينظر: الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجيها البياني، رابح بو معزة: 13.

(149) ينظر: الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه: 14 - 15.

لمفعولين)، ورابع، وهو قليل، يحتاج إلى ثلاثة عناصر توسيعية (أفعال تنصب ثلاثة مفاعيل) " [150].

وقد اختلفَ العلماءُ في تحديد البنية الداخلية العميقة للجملة الفعلية في العربية، وقد عدّ معظمُ الباحثين البنية الداخلية الأصلية لها هي:

(فعل + فاعل + مفعول به)

وقليلٌ منهم عدّ جملة:-

(فاعل + فعل + مفعول به)

هي الأصل [151].

فالخلاف إذاً يرتبطُ بموقع كُل من الفعل والفاعل في الجملة، أما موقع المفعول به، فلا خلافَ في أنه في البنية الداخلية دائم التأخير عن الفعل والفاعل.

ورغم أنّ المفعول به يقع أحياناً قبل الفعل، فإن ذلك لا يُمثلُ الترتيب في البنية الداخلية [152].

ومما يلفت الانتباه أنّ سيبويه قد استخدم مصطلح (حدّ الكلام) مشيراً به إلى الجملة الأصلية الثابتة قبل أن تطرأ عليها تغيرات حركية، يقول في

---

(150) المصدر نفسه: 62 - 63.

(151) ينظر: البنية الداخلية للجملة الفعلية في العربية، داود عبده: 37 - 38.

(152) ينظر: المصدر نفسه: 39.

حديثه عن كان: " واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة، فالذي تشغل به كان المعرفة؛ لأنه حَدُّ الكلام.. " [153].

كان عبدُ الله أخاك	**حدّ الكلام**
كان أخاك عبد الله	**التقديم والتأخير** [154]
" كان زيدٌ حليماً	**حدُّ الكلام**
كان حليماً	**يجوز**
كان حليمٌ	**لا يستقيم "** [155]

وقد وردت جملة المفعول به الفعلية في الكتاب بأحجام مختلفة وهي من نوع الجمل ذات المواقع (الوافية)، وهذه الصور هي: -

1- فعل + فاعل + مفعول به

يقول سيبويه: " هذا باب الفاعل الذي يتعداهُ فعلُهُ إلى مفعول، وذلك قولـك: ضربَ عبدُ الله زيداً " [156]. ومن أمثلتها: -

ضربتُ زيداً.

ضربَ زيدٌ عمراً [157].

---

(153) الكتاب: 1/ 45.

(154) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 296.

(155) المصدر نفسه: 296.

(156) الكتاب: 1/ 34.

(157) ينظر: الكتاب: 1/ 80، شرح جمل سيبويه: 1/ 51.

ضربَ عبدُ الله زيداً [158].

وقد أشار سيبويه إلى أسلوبٍ قبيحٍ ولم يُعرف عند العرب، وهو أن يكون الفاعلُ والمفعولُ شخصاً واحداً، يقول سيبويه: " لا يجوزُ لك أن تقولَ للمخاطَب: أضربك ولا أقتلُك، ولا: ضَرَبتَكَ، لمّا كان المخاطَب فاعلاً وجعلتَ مفعولهُ نفسَهُ قبُحَ ذلك، لأنهم استغنــوا بقولهم أقتلُ نفسك، وأهلكت نفسك، عن الكاف هاهنا وعن إيّاك... وكذلك المتكلمُ لا يجوزُ له أن يقول أهلَكتُني ولا أهلِكُني، لأنه جعل نفسَهُ مفعولَهُ فقبحَ ذلك، وذلك لأنهم استغنوا بقولهم أنفعُ نفسـي عن (ني) وعـن (إياي) " [159].

ويُلاحظ هنا أنّ تعليل سيبويه " لم يتعدّ أنّ ذلك الأسلوبَ قبيحٌ ولم يُعرَف عند العرب، ويقولون أقتلُ نَفسَكَ، بدلاً من أقتلُك " [160]. وهو " تعليلٌ مباشرٌ مرتبطٌ بالاستعمالات اللغوية لا أثرَ فيه لمنطقٍ أو فلسفةٍ " [161].

كما أنّ لدى سيبويه أحياناً إشارات إلى الفارقِ بين الأصلِ والفرع، ففي قولهم نُبّئتُ زيداً يقول ذلك، تعدى الفعلُ هنا إلى زيدٍ مباشرةً، والأصلُ تعدّيه بحرف الجر: نُبّئت عن زيدٍ[162]، فنُلاحظ هنا أنّ هناك أصلاً عميقاً للجملةِ أشارَ إليه سيبويه. ومن حيثُ العلاقة بين (الفاعل) و (المفعول به) في صورة

(158) ينظر: الكتاب: 1/ 34، شرح جمل سيبويه: 1/ 21.

(159) الكتاب: 1/ 385، ويُنظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سلمان ياقوت: 69.

(160) ظاهرة الإعراب في النحو العربي: 69.

(161) المصدر نفسه: 69.

(162) ينظر: الكتاب: 1/ 38، شرح جمل سيبويه: 1/ 24.

التركيب اللغوي [163]، ميّزَ سيبويه بين نوعين من الجمل، جمل الأفعال الناقصة، وجمل الأفعال التامة، يقول في عمل كان وأخواتها: " هذا بابُ الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيءٍ واحد، ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل... وذلك قولك: كان ويكونُ، وصارَ وما دام وليس.." [164].

ويبدو أنّ كان وأخواتها عنده " أفعالٌ تعمل عمل الفعل فترفَعُ وتنصِبُ كما يرفَعُ الفعل وينصب، ويسمى اسمها فاعلاً وخبرُها مفعولاً " [165].

إنّ سيبويه لا يرى بين الأفعال الناقصة وبين الفعل (ضَرَبَ) إلا فرقين هما:

أ - " إنّ الفاعل والمفعول لِـ (كان) شيءٌ واحد، فقولُنا كان زيدٌ مجتهداً لم تتحدث فيه إلاّ عن زيد والمجتهدُ هو زيدٌ نفسه، أما قولنا ضَرَبَ زيدٌ عمراً، فزيدُ شيء وعمرو شيء " [166].

ب - إن كانت لا تقتصر على فاعلها وإنما تحتاجُ إلى مفعول، فلك أن تقول: ضَرَبَ زيدٌ، إذا فهم حصول ضرب من زيد، ولكن ليس لك أنّ تقول كان زيد، وأنت تريد مجتهداً، لأن ذلك لا يُفهَم إلا بذكـره [167].

---

(163) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 39.

(164) الكتاب: 1/ 45.

(165) النواسخ في كتاب سيبويه، حسام سعيد النعيمي: 26.

(166) المصدر نفسه: 26، ويُنظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 39.

(167) ينظر: النواسخ في كتاب سيبويه: 26.

2- فعل + فاعل + مفعول به (1) + مفعول به (2)

ومثاله:

أعطى عبدُ الله زيداً درهما.

كسوتُ بشراً الثياب الجيادَ [168].

حسبَ عبدُ الله زيداً بكراً.

ظن عمرو خالداً أباك [169].

خالَ عبدُ الله زيداً أخاك.

زعم عبدُ الله زيداً أخاك [170].

وأشار سيبويه أيضاً إلى ظاهرة (الاتساع) في بعض الجمل، ففي قولهم: (سرقَ عبدُ الله الثوبَ الليلة) يقولُ الأعلم:

" فإنما قصدَ أن يُبيّنَ أنّ فعلَ المفعول قد يجوزُ إذا كان متعدياً إلى مفعولٍ واحدٍ أن تجعَل الظرف معه مفعولاً ثانياً على السعة " [171].

كما أشار إلى الجمل التي يتعدى الفعلُ فيها إلى مفعولين وكان الثاني منهما مجروراً بحرف الجر ولكنهُ حُذف وأعمل الفعلُ مباشرةً[172]، ومثال ذلك:

---

(168) ينظر: الكتاب: 1/ 37، شرح جمل سيبويه: 1/ 23.

(169) شرح جمل سيبويه: 1/ 23.

(170) ينظر: الكتاب: 1/ 37، شرح جمل سيبويه: 1/ 23.

(171) النُكَت في تفسير كتاب سيبويه: 1/ 178، ويُنظر: الكتاب: 1/ 20.

(172) ينظر: الكتاب: 1/ 37 - 38، 58، شرح جمل سيبويه: 1/ 23.

اخترتُ الرجالَ عبدَ الله.

كنيتُ زيداً أبا عبدِ الله.

سميتُهُ زيداً .

دعوتُهُ زيداً [173].

ويبدو أنه يساوي بين المفعول به المتعدي مباشرةً، والمفعول به المتعدي بحرف الجر أو (حرف الإضافة) كما يسميه سيبويه [174] ، أي إنه يرى أن الأفعال تتعدى بنفسها أو بحرف الجر ومثال ذلك:

اخترتُ فلاناً من الرجال

سميتُهُ بفلانٍ.

عرّفتُهُ بهذه العلامة [175].

3- فعل + فاعل + مفعول به (1) + مفعول به (2) + مفعول به (3) ، ومثالُ ذلك:

أرى اللهُ بشراً زيداً أباك.

نبأتُ زيداً عمراً أبا فلان.

---

(173) ينظر: الكتاب: 1/ 37، شرح جمل سيبويه: 1/ 23.

(174) ينظر: الكتاب: 1/ 37 - 38، شرح جمل سيبويه: 1/ 23.

(175) ينظر: الكتاب: 1/ 38، شرح جمل سيبويه: 1/ 23.

أعلم اللهُ زيداً عمراً خيراً منك [176].

وأشارَ هنا أيضاً إلى ظاهرة الاتساع في بعض الجمل، إذ جُعِلَ (الظرف): الليلة، مفعولاً على السعة [177] في قولهم:

سرقتُ عبدَ اللهِ الثوبَ الليلةَ [178].

ب / جملة المفعول به غير الفعلية عند سيبويه:

1) إعمالُ اسم الفاعل:

كقولهِ:

هذا الضاربُ زيداً[179].

هذا ضاربٌ زيدا[180].

هذا الضاربُ الرجُلَ [181].

ويمثل اسم الفاعل المقترن بالألف واللام مع معموله ركناً اسميا، ويمكن تعريفه بأنه " وحدة لغوية مكونة من عناصر لغوية تتوافق مع بعضها وتلتحم

(176) ينظر: الكتاب: 1/ 41، شرح جمل سيبويه: 1/ 26.

(177) ينظر: الكتاب: 1/ 41، شرح جمل سيبويه: 1/ 27.

(178) ينظر: الكتاب: 1/ 41، شرح جمل سيبويه: 1/ 27.

(179) ينظر: الكتاب: 1/ 181، شرح جمل سيبويه: 1/ 119.

(180) يُنظر: الكتاب: 1/ 189، شرح جمل سيبويه: 1/ 121.

(181) يُنظر: الكتاب: 1/ 182، شرح جمل سيبويه: 1/ 119.

حول عنصرٍ أساسي هو الاسم " [182]. فالركن في الدرس الألسني يشير إلى مجموعة من العناصر اللغوية التي تكوّن وحدة تركيبية معينة في الجملة. وقد وصف سيبويه الركن الاسمي، وقام بتحليله مدركاً أن التركيب الاسمي يجري مجرى الاسم الواحد في السياق الكلامي [183].

2) إعمال الصفة المشبهة:

هذا الحسنُ وجهاً[184].

3) إعمال المصدر:

متى ظنُّكَ زيداً أميراً.

متى ضربُكَ عمراً [185].

4) إعمال صيغ المبالغة:

إنه لمنحارٌ بوائكها.

ضَروبٌ سوقَ الإبل [186].

5) إعمال اسم الفعل:

---

(182) قضايا ألسنية تطبيقية- دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا: 116.

(183) ينظر: المصدر نفسه: 115- 151.

(184) ينظر: الكتاب: 1/ 200، شرح جمل سيبويه: 1/ 123.

(185) ينظر: الكتاب: 1/ 125، شرح جمل سيبويه: 1/ 82.

(186) ينظر: الكتاب: 1/ 110، شرح جمل سيبويه: 1/ 76.

رويدَ زيداً [187].

حَيَّهَل الصلاةَ [188].

ويظهر مما تقدّم وجودُ نوعين من العوامل في إسناد الفعل المظهر وعمله في الأسماء وهما (الفعل) نفسه، و(ما يعمل عمله) وعليه فإن صورة تركيبه اللغوي هي:

1- الفعل / ما يعمل عمله + المرفوع (الفاعل) + المنصوب (المفعول به) 3 [189].

أسلوب الموازنات:

مما يلفت الانتباه في منهجيّة سيبويه في كتابه هو كثرة اعتماده على أسلوب الموازنات في تحليله للأساليب اللغوية، ويرتبط هذا الأسلوب بمختلف موضوعات الكتاب، ومن ذلك (على سبيل التمثيل لا الحصر):

1. بين (ظن) التي تنصب مفعولاً و(اتهم):

ظننتُ زيداً = اتهمتُ زيداً [190]

2. بين اسم الفاعل والفعل:

---

(187) ينظر: الكتاب: 1/ 241، شرح جمل سيبويه: 1/ 158.

(188) ينظر: الكتاب: 1/ 241، شرح جمل سيبويه: 1/ 159.

(189) منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 39.

(190) ينظر: الكتاب: 1/ 126، شرح جمل سيبويه: 1/ 83.

هذا ضاربٌ زيداً غداً = هذا يضربُ زيداً غداً [191]

هذا الضاربُ زيداً = هذا الذي ضربَ زيداً [192]

3. بين المصدر والفعل في الدعاء:

رحمةُ الله عليه = رحمَهُ الله [193]

4. بين الفعل الذي تعدى بحرف الجر والفعل الذي تعدى مباشرةً[194]:

مررتُ بعبدِ الله = لقيتُ عبدَ الله [195]

5. بين المفعول معه والمفعول به:

ما زلتُ وزيداً حتى فَعَل = ما زلتُ بزيدٍ حتى فعل [196].

ويرى الدكتور مصطفى النحاس أنّ هذه الموازنات التي كان يُجريها سيبويه تؤكد أنّه يذهب إلى أنّ كثيراً من المنصوبات هي في حقيقتها بدائل لمجرورات من مثل:

المفعول به = الباء + مجرور

---

(191) ينظر: الكتاب: 1/ 164، شرح جمل سيبويه: 1/ 112.

(192) ينظر: الكتاب: 1/ 181، شرح جمل سيبويه: 1/ 119.

(193) ينظر: الكتاب: 1/ 314، شرح جمل سيبويه: 1/ 209.

(194) يُنظر: شرح جمل سيبويه: 1/ 62.

(195) ينظر: المصدر نفسه: 1/ 61.

(196) ينظر: من قضايا اللغة، مصطفى النحاس: 298، ويُنظر: الكتاب: 1/ 298.

المفعول منه = من + مجرور

المفعول له = اللام + مجرور

المفعول معه = مع + مجرور

المفعول فيه = في + مجرور [197]

وقد نقل ابن السراج قول سيبويه: " ومثل ذهبت الشام: دخلت البيت"[198]، ثم أردف قائلاً:

" يعني أنه قد حذف حرف الجر من الكلام، وكان الأصل عنده: ذهبت الى الشام، ودخلت في البيت، وهما مستعملان بحروف الجر، فحذف حرف الجر من حذفه اتساعاً واستخفافاً " [199].

وقد ذكر الرضي أن هذه المجرورات مفعول بها على الرغم من أن اصطلاح النحاة للمفعول به يختص بما أطلق ولم يكن مقيداً بحرف جر أو بواسطة، يقول:

" ينبغي أن تكون المجرورات في: مررت بزيد، وقربت من عمرو، وبعدت من بكر، وسرت من البصرة إلى الكوفة: مفعولاً بها، ولا شك أنه يقال إنها مفعول بها لكن بواسطة حرف جر، ومطلق لفظ المفعول به لا يقع على هذه الأشياء في اصطلاحهم، وكلامنا في المطلق " [200]. وميز ابن عقيل بين الفعل اللازم

---

(197) ينظر: من قضايا اللغة: 298 - 299.

(198) الكتاب: 1/ 35.

(199) الأصول في النحو، ابن السراج النحوي: 1/ 171.

(200) شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي: 1/ 334.

والمتعدي عاداً المجرور مفعولاً به للفعل اللازم الذي يصل إليه بوساطة حرف الجر، يقول:

" ينقسم الفعل إلى متعدٍ ولازم، فالمتعدي: هو الذي يصل الى مفعوله بغير حرف جر، نحو: " ضربتُ زيداً " واللازم ما ليس كذلك، وهو ما لا يصل إلى مفعوله إلا بحرف جر نحو: "مررتُ بزيدٍ " أو لا مفعول له نحو: " قام زيدٌ "، ويسمى ما يصل إلى مفعوله بنفسه: فعلاً متعدياً، وواقعاً، ومجاوزاً، وما ليس كذلك يسمى: لازماً، وقاصراً، وغير متعدٍ، ويسمى متعدياً بحرف جر " [201].

كما أجاز ابن عقيل حذف حرف الجر ونصب موضعه فيصل الفعل اللازم إلى مفعوله بنفسه بشروط معروفة [202].

إن الفعل المتعدي هو الذي يقوى فيه معنى الحدث فيتعدى فاعله ويتجاوزه إلى متأثر خارجي يقال له المفعول به، فالفعل إما أن يكون قادراً على نصب المفعول مطلقاً ككتب، ونصر، وعلم، وضرب، أو يكون قاصراً عن نصب المفعول مباشرة فيصل إليه بقيد معنوي بوساطة حروف الجر التي تدل على معانٍ كالظرفية، وابتداء الغاية وانتهائها، والاستعلاء، وغير ذلك، كالأفعال: نزل، وخرج، وصعد [203].

---

(201) شرح ابن عقيل: 1/ 534.

(202) ينظر: المصدر نفسه: 1/ 538 - 541.

(203) ينظر: نحو الفعل: أحمد عبد الستار الجواري: 66- 70.

المبحث الثاني

جملة المفعول به عند سيبويه في ضوء المستوى المتحرك

أ- الحركة الأفقيـة:

إنّ الجملة العربية لا تتميّزُ بحتميةٍ في ترتيب أجزائها، فهناك بعضُ الرتب المحفوظة التي يُمثل الخروج عنها نوعاً من الانتهاك لما هو مألوف، وكثيراً ما يكونُ المعنى محكوماً بالصلة بين الكلمات، وأهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة، وتحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام، وإلى الخلف يُساعدُ مساعدة بالِغَةً في الخروج باللغة إلى طابعها الإبداعي [204].

التقديم والتأخير :

" تكونُ مفرداتُ التركيب منسَجِمَةً في سلسلةٍ معينةٍ مألوفَةٍ، غيرَ أنّ هناك ما يوجبُ أو يجيزُ العدول عن هذا الترتيب " [205].

---

(204) ينظر: بناء الجملة في كتاب الأصول: 127.

(205) الألسنية العربية: 78.

يأتي المفعول به بَعدَ فعلِهِ وفاعِلِهِ في الجملة الأساس، (الثابتة)، " وتحدد القواعد حالات تقديم الفاعل على المفعول، وتقديم المفعول على الفاعل، وتقديم المفعول على الفعل والفاعل " [206].

لقد درسَ سيبويه الجملة على وفق هذه الحركة ذاكراً سبب التقديم، يقول: " إنما يقدّمون الذي بيانهُ أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " [207]. وهو بحديثه عن التقديم والتأخير يُعدُّ صاحِبَ الريادةِ فيه، كما أنّ كلامه فيه يُعدّ العمدة في هذا المجال [208].

ويرى أحد الباحثين (الرتبة) أصلاً من الأصول التي تُشكّلُ نظامَ التركيب في الكتاب، ويسمي سيبويه الرتبة بـ (الموضع)، وهي لديه ضربان لازمةٌ وغيرُ لازمة [209]، وتتمثل الرتبة غير اللازمة " بتغيير مواقع الكلم في التركيب تقديماً وتأخيراً دون الإخلال بوظيفة كُلّ منها " [210]، وهو يرى أنها ظاهرةٌ أسلوبية تتطلبها مقاصدُ المتكلم، وهي تمثّل خروجاً عن القاعدة التي يقررها النظامُ النحوي على بناء التركيب [211]. وتجدُرُ الإشارة إلى أنّ النظام اللغوي يُلزم " أن يتقدم الفاعلُ على المفعول به إذا خيفَ التباس أحدهما بالآخر، وذلك إذا

---

(206) المصدر نفسه: 78.

(207) الكتاب: 1/ 34.

(208) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين: 89.

(209) ينظر: مصطلح الكلام: 75 - 76.

(210) المصدر نفسه: 78.

(211) ينظر: المصدر نفسه: 78.

خفيت العلامة الإعرابية، ولم تكن هناك قرينةٌ لفظيةٌ أخرى، أو معنوية تبين أحدهما من الآخر، ويمثلون لذلك بقولهم (ضرب موسى عيسى) " [212].

ولكنّ العُنصرَ الدلالي يقومُ أحياناً بالتمييز بين الوظائف النحوية مما يُتيحُ لها حريّة الرتبة، ففي حال عدم ظهور العلامة مع وجود القرينة اللفظية أو المعنوية في الجملة، فإنّ الرتبة بينهما تصبحُ حُرّة [213].

وقد أورد سيبويه كثيراً من الأساليب التي تعرضت للحركة الأفقية سواء ما تعلق منها بتغيير المواضع بين العناصر الرئيسة في التركيب كالمبتدأ والخبر، أو ما ارتبط بتغيير المواضع بين العناصر الرئيسة والتكميلية في الجملة كالفاعل والمفعول [214]. ومما أورده في تقديم المفعول به على الفاعل:

ضربَ زيداً عبدُ الله [215].

ضربَ عمراً زيدٌ [216].

وقد يتقدم المفعول به على نائب الفاعل :

كُسيَ الثوبَ زيدٌ.

أُعطيَ المالَ عبدُ الله [217].

---

(212) النحو والدلالة: 141.

(213) ينظر: المصدر نفسه: 140: 141.

(214) ينظر مصطلح الكلام: 78 مقاربات لسانية في كتاب سيبويه، لطيف حاتم: 83.

(215) ينظر: الكتاب: 1/ 34، شرح جمل سيبويه: 1/ 21.

(216) ينظر: الكتاب: 1/ 81، شرح جمل سيبويه: 1/ 51 .

(217) ينظر: الكتاب: 1/ 42، شرح جمل سيبويه: 1/ 28.

ومن أمثلته في تقديم المفعول به على الفعل:

زيداً ضربتُ[218].

أعبدَ الله يومَ الجمعة أضربُ؟

زيداً إذا أتاني أضربُ.

أزيداً إن رأيتَ تضربُ؟ [219].

ويتحقق ذلك فيما تعدى إلى مفعولين فيُقَدّم السابقُ منهما كما في باب ظن[220]. يقول سيبويه: " فإن جاءت مستعمَلَةً فهي بمنزلة رأيت وضربتُ،... في الإعمال والبناء على الأول في الخبر والاستفهام وفي كُلّ شيء، وذلك قولك: أظنُّ زيداً منطلقاً.. وزيداً أظنُّ أخاك، وعمراً زعمتُ أباك " [221].

أي أنّ التقديم هنا يكونُ للمفعول به الأول:

أظنُّ زيداً أخـاك ـــ المستوى الثابت

زيداً أظنُّ أخـاك ـــ المستوى المتحرك أفقياً

زعمتُ عمراً أباك ـــ المستوى الثابت

عمراً زعمتُ أباك ـــ المستوى المتحرك أفقياً

وفي تقديم معمول اسم الفاعل، أورد سيبويه: -

---

(218) ينظر: الكتاب: 1/ 42، شرح جمل سيبويه: 1/ 28 .

(219) ينظر: الكتاب: 1/ 81، شرح جمل سيبويه: 1/ 51.

(220) مصطلح الكلام: 79.

(221) الكتاب: 119.

أما زيداً فأنا ضاربٌ [222].

ويتقدم معمولُ صيغة المبالغة أيضاً:

أما العسلَ فأنا شرابٌ [223].

من هنا يتضحُ أن " التقديم والتأخير من عناصر التركيب مما يتبَعُ عنايةَ المتكلّم بهذا العنصر أو ذاك كما يرى سيبويه، فإذا كان العُنصُر اللغوي يؤدي وظيفةً خاصةً على مستوى التركيب النحوي، فإنه على مستوى الخطاب يؤدي وظيفةً أخرى تكمنُ في إيصال المعنى المقصود بوجهٍ آخر تقعُ فيه الفائدة " [224].

إنّ هذا الأمر يؤكد الحسّ اللغوي الذي يمتلكه سيبويه حين ميّز بين التركيب ذي العناصر المتوالية بصورة مألوفةٍ، والتركيب الذي يتغيّرُ فيه توالي عناصره لإرادة المتكلم وللتعبير عن أغراضه، ولعّل هذا الأمر يرتبط بالمفهوم الحديث لوظيفة التركيب حين يُنظر إلى ترتيب عناصر الجملة في ضوء السياق الفعلي الذي عبّر عنه سيبويه بالعناية، والاهتمام لدى المتكلم [225].

أسلوب الموازنات:

يظهَرُ أسلوب الموازنات في المستوى المتحرك أفقياً كالموازنة بين (أعطيتُ) و(ضربتُ): -

---

(222) ينظر: الكتاب: 1/ 71، شرح جمل سيبويه: 1/ 46.

(223) ينظر: الكتاب: 1/ 110، شرح جمل سيبويه: 1/ 76.

(224) مصطلح الكلام: 79.

(225) المصدر نفسه: 79 - 80.

زيداً أعطيتُ بمنزلة زيداً ضربتُ [226].

وكذلك في الموازنة بين (الضرب) و (عبد الله) في قولهم:

أما الضربَ فضاربٌ.

فالضرب مفعولٌ به كقولنا:

أما عبدَ الله فأنا ضارِبٌ [227].

ب- الحركة الرأسيــة:

" وتتمثلُ هذه الحركة في عمليّة جذبٍ لمفردات التركيب تتمحور في عمق رأسي يُساعد بدوره على إفراد دلالةٍ فريدة لا تقِلُّ أهميتها في الدلالة الناتجة عن الحركة الأفقية " [228].

ومن مظاهر هذه الحركة ما يرتبط بموضوع العطف:

العطـف:

وهو "علاقةٌ نحويّةٌ تقوم على الجمع بين عناصر تشترك في الوظيفة نفسها، أي أن بين كُلّ واحد منها وبين بقية مكونات المرَكب العلاقة نفسها [229].

---

(226) ينظر: الكتاب: 1/ 83، شرح جمل سيبويه: 1/ 52.

(227) ينظر: الكتاب: 1/ 334، شرح جمل سيبويه: 1/ 254.

(228) بناء الجملة في كتاب الأصول لابن السراج: 137.

(229) ينظر: ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة: 254.

وتقومُ أداةُ العطف بجذب عناصر الجملة في عمق رأسي تكونُ الأداة فيه هي البؤرةُ، منتجةً دلالةً جديدةً في الجملة [230].

إنّ هذا الموضوع يقودُنا إلى التمييز بين ما يسمى بالجملة البسيطة التي تخضع لكُتلةٍ واحدة، وما يسمى بالجملة المركبة التي تتألف من ترابط جملتين متتاليتين أو أكثر بعضها ببعض [231].

إنّ لأدوات العطف دوراً مهماً في عطف الجمل أو المقاطع الجملية على بعضها البعض [232]، " وتقوم حروف العطف - حتى في مجال عطف الجمل- بوظيفةٍ دلاليةٍ هامة، فيجمع بعضها مقطعي الجملة المتعاطفتين تحت حكمٍ واحد (الواو، الفاء، ثم) " [233].

ومن الأمثلة التي أوردها سيبويه للعطف بالواو ما ذكره في باب التنازع:

ضربتُ وضربني زيد.

ضربني وضربتُ زيداً[234].

ويُلاحظ هنا أنّ البناء الأصلي للجملة الأولى هو:

ضربتُ زيداً، ضربني زيد.

---

(230) ينظر: بناء الجملة في كتاب الأصول لابن السراج: 156.

(231) ينظر: الألسنية العربية: 99.

(232) ينظر: المصدر نفسه: 100.

(233) المصدر نفسه: 100.

(234) ينظر: الكتاب: 1/ 73، شرح جمل سيبويه: 1/ 47.

أما البناء الرأسي فيتمثل هنا بالجمع بين الجملتين مع الاستغناء عن مفعول ضربت، لوجود ما يعوض عنه في الجملة الثانية (القرينة اللفظية)، وكذلك استناداً إلى المقام الذي قيلت فيه الجملـة (القرينة الحالية).

ويلاحظ هنا أن هذه الجملة قد جمعت بين حركتين هما: -

الحركة الرأسية، والحركة الموضعية، إذ إنّ الاستغناء عن المفعول داخلٌ في الحركة الموضعية.

البناء الرأسي هو: ضربتُ وضربني زيدٌ

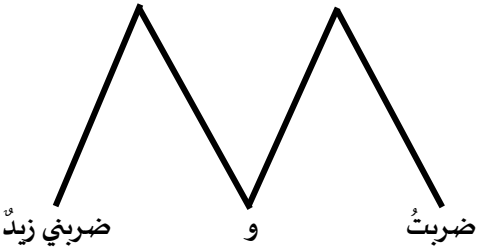

أمّا الجملة الثانية، فيتمثل بناؤها الأول بالآتي:

ضربني زيدٌ، ضربتُ زيداً

أمّا البناء الرأسي فهو: ضربني وضربتُ زيداً

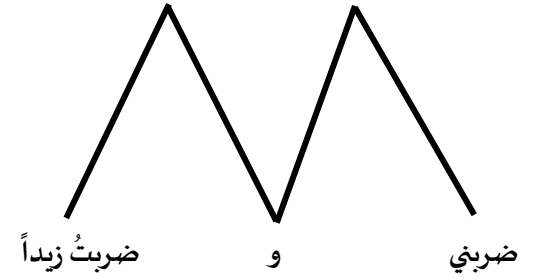

ويُلاحظ هنا أن كلمة: (زيد) في الجملتين السابقتين " فاعلٌ ومفعولٌ في وقتٍ واحد، يدلنا على ذلك التقدير، أو الأصل المقدّر للجملتين كلتيهما، والفعل لا يعمل في اسم واحدٍ النصب والرفع، لذلك فالجملة يعتريها بعض الحذف، وفيما بقي دليلٌ على المحذوف، وهذا من قواعِد الحذف عند النحاة "[235].

ويتحقق الأمر نفسه في المثال:-

ضربتُ زيداً وعمراً كلمتُهُ[236].

فالبناء الأول للجملة هو: -

ضربتُ زيداً، عمراً كلمتُهُ

أمّا البناء الرأسي فهو: ضربتُ زيداً وعمراً كلّمتُهُ

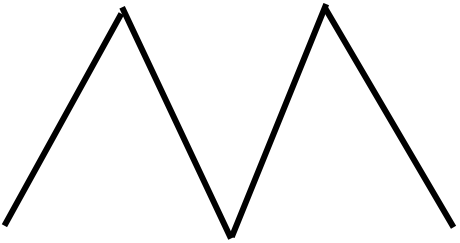

ويُلاحظ هنا أنّ جملة (عمراً كلمتُهُ) تدخُلُ في نطاق حركةٍ أخرى هي الحركةُ الموضعية التي تتمثل هنا بالاستغناء عن الفعل في حالة (الاشتغال).

---

(235) شرح جمل سيبويه: 1/ 48.

(236) ينظر: الكتاب: 1/ 119، شرح جمل سيبويه: 1/ 79.

وهناك نوعٌ آخر من حروف العطف يخصّ بالحكم أحد المقطعين، أو يفرده على سبيل التعيين أو على سبيل الابهام مثل: (لكن، لا، بل، أم، أو) [237].

ومن الأمثلة التي أوردها سيبويه لهذا النوع:

أيهم تضربُ أو تقتلُ [238].

إنّ البناء الأول يتمثل بالآتي:

أيهم تضربُ، أيهم تقتلُ

أما البناء الرأسي فهو: أيهم تضربُ أو تقتلُ.

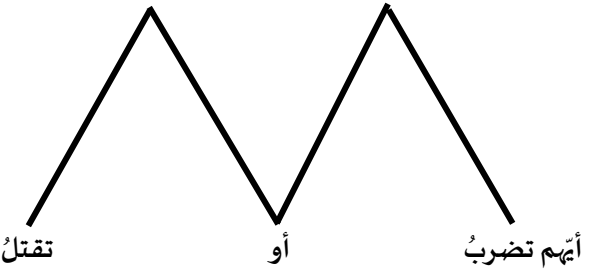

ومثال ذلك أيضاً:

جالس عمراً أو خالداً أو بشراً[239].

(237) ينظر: الألسنية العربية: 100.

(238) ينظر: الكتاب: 1/ 485، ويُنظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 444.

(239) ينظر: الكتاب: 1/ 489، وينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 444.

فبناؤها الأول هو:

جالس عمراً، جالس خالداً، جالس بشراً

وبناؤها الرأسي هو: جالس عمراً أو خالداً أو بشراً

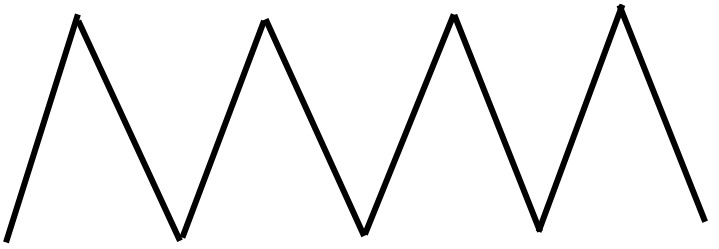

جالس عمراً أو خالداً أو بشراً

من هنا يتضح أنّ للعطف فائدةً عظيمةً في اختصار الأساليب، فهو يعوّضُ عن التكرار في الجمل، فحرف العطف كالتثنية " فيصير المعطوف والمعطوف عليه كالمثنى " [240]، و" قام الزيدان بمنزلة قام زيدٌ وزيد، وقام زيد وعمرو بمنزلة قام الزيدان غير أنه لم يُمكن تثنية زيد وعمرو بلفظ واحد ففصل بينهما بالواو وصارت الواو كالتثنية في ما اتفق لفظه... " [241].

(240) النكت في تفسير كتاب سيبويه: 1/ 193.

(241) المصدر نفسه: 1/ 193.

جـ- الحركة الموضعية:

ونعني بها " تحرك الصيغة أو الكلمة في موضعها حركةً داخليةً لكي تفرز دلالات متعددة تستمدّ قوامها من المعنى الأصلي ولكنها تتشبع بطبيعة السياق والمقام، وتعتمد على قرائن الأحوال " [242].

وتتمثل هذه الحركة في ظاهرة الحذف:

الحـذف:

إن الإيجاز من سمات العربية، ويعد الحذف من أبرز مظاهره، وقد تناوله ابن جني في باب (شجاعة العربية) مؤكداً أهميته، إذ إن من عادة العرب الإيجاز، والاختصار، والحذف، مما يزيد القول فصاحة، وبلاغة [243].

وموضوع الحذف في اللغة العربية عموماً، وكتاب سيبويه بشكل خاص موضوع واسع. وهو من الظواهر النحوية التي يقوم فيها الجانب الدلالي بدورٍ بارزٍ[244]، إذ تدفعُ دلالة السياق المتكلم في كثير من الأحيان إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة [245]، فقد يحذف المبتدأ، أو الفعل مع الفاعل؛ لدلالة المقام، ومراعاة للحال عند المتكلم والسامع [246].

---

(242) بناء الجملة في كتاب الأصول لابن السراج: 156.

(243) ينظر: الخصائص، ابن جني: 2/ 36، الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم: 39.

(244) ينظر: النحو والدلالة: 132.

(245) ينظر: المصدر نفسه: 132، العلل النحوية في كتاب سيبويه، أسعد خلف العوادي: 172- 175.

(246) ينظر: القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم: 112.

إنّ الحذف جائزٌ في كُلّ ما يدلّ الدليلُ عليه، وفي كل تركيب ترشدُ القرينة إلى اللفظ المحذوف، ومعناه، ومكانه، وقد تحذفُ العناصرُ الضرورية في الجملة أي المسند، والمسند إليه، والمفعول، أو تحذف الجملة النواة مع بقاء العنصر التوسيعي (المفعول) مفصحاً عن دلالتها، كما قد تُحذف مكملاتُ الجملة الأخرى [247]، والحذف لا يكونُ" على حساب المعنى ويجبُ الا يتأثر به التركيب " [248]. ولقد عني سيبويه في كتابه بهذه الظاهرة، يقول:

" اعلم أنهم إنما يحذفون الكلم، وإن كان أصلُهُ في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصلُهُ في كلامهم أن يُستعمل حتى يصير ساقطاً... " [249].

ويظهر من كلامه المتقدم أن الأصل عنده هو الذكر، وأن الحذف طارئٌ، وهو ضرب من الإيجاز، مع تأكيده ضرورة نجاح عملية التواصل اللغوي، ووصول مراد المرسل إلى ذهن المستقبل دون لبس أو غموض، ويقع أمن اللبس رغم وقوع الحذف عن طريق علم المخاطب بالمعنى المراد بوساطة القرائن الدالة على المحذوف [250]. إنّ الحذف ظاهرةٌ لغويةٌ تشترك فيها اللغاتُ الإنسانيةُ وتبدو مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحاً[251]، كما "

(247) ينظر: الألسنية العربية: 80، الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه، 64.

(248) الألسنية العربية: 81.

(249) الكتاب: 1/ 24 - 25، وينظر: مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 82 - 83.

(250) ينظر: المركب الاسمي في كتاب سيبويه، علي بن معيوف بن عبد العزيز المعيوف: 275 - 276.

(251) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة: 9.

أن ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جُبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميلٍ إلى الإيجاز " [252].

وقد تناول القدماء هذه الظاهرة بالدراسة وأطلق عليها سيبويه مصطلحات: (الإضمار) و(الاختزال) و(الحذف) [253].

وقد انتقد بعض العلماء هذا الخلط في استعمال مصطلحي الحذف والإضمار بمعنىً واحدٍ، والواقع إنهما قد استعملا بمعنىً واحد عند النحاة ابتداءً بسيبويه [254] الذي نص " في مواضع كثيرةٍ على ضرورة الحذف لأسباب نراها تدخل في فن البلاغة، مثل التخفيف والإيجاز والسعة، ويبين لنا سيبويه أن العرب قد جرت عادتها على الحذف " [255].

والمتتبع له في كتابه " يلحظ أنه يتحدث عن أنماط كثيرةٍ من التراكيب يُشكّلُ الاسم المنصوب فيها عنصرها الأساسي، وهذا العنصر المنصوب يُتّخذ دليلاً على فعلٍ مضمرٍ أو مقدّر " [256].

إن هذا النوع من الجمل هي- كما ورد في البحث- من نوع الجمل (الكافية) أو ما يسمى بجمل الموقع النحوي الواحد الذي يُنظرُ من خلاله إلى الجملة على أساس حجمها، أي عدد العناصر المفردة التي تكونها [257].

---

(252) المصدر نفسه: 9.

(253) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 230.

(254) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: 18.

(255) أثر النحاة في البحث البلاغي: 79.

(256) من قضايا اللغة: 295.

(257) ينظر: جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه: 21.

وقد توزعت هذه الظاهرة على مستوى الجملة في موضوعاتٍ عدة، منها حذف عامل المفعول به جوازاً، وحذف الفعل وجوباً فيما جرى كالمثل، وحذف الفعل على التحذير والاختصاص [258]، ومن ذلك ما أورده سيبويه في إضمار الفعل المستعمل إظهاره في الأمر والنهي، يقول:

" هذا بابُ ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، إذا علمت أنّ الرجُلَ مستغنٍ عن لفظك بالفعل، وذلك قولك: زيداً، وعمراً، ورأسَهُ، وذلك أنك رأيت رجلاً يضربُ أو يشتم أو يقتُل فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت زيداً أي أوقع عَملك بزيد " [259].

فقد يُحذفُ الفعلُ ويُستدل على معناه من الحال فيكونُ ما هو ظاهر مفعولاً به لفعلٍ يُستدلّ على معناه من الحال نفسه [260].

لقد راعى سيبويه " الأعراف الاجتماعية التي تؤدي الى الاختصار والاقتصاد في الكلام، حين تكون تلك الأعراف سبباً في استخدام بعض الأساليب التي لا يمكن فهمها والتنظير لها إلا في ضوئها " [261].

ومن الأمثلة التي أوردها ما يأتي [262]:

---

(258) ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه ـ دراسة في النحو والدلالة، د. أسعد خلف العوادي: 141 - 186.

(259) الكتاب: 1/ 253.

(260) ينظر: شرح جمل سيبويه: 1/ 168، قضايا المفعول به عند النحاة العرب: 120 - 123.

(261) القاعدة النحوية تحليل ونقد: 114.

(262) ينظر: الكتاب: 1/ 253 - 256، شرح جمل سيبويه: 1/ 168 - 169، جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه: 23 - 24.

الموقف الاجتماعي	جملة الموقع الواحد (الكافية) في الأمر أو النهي أو الدعاء	جملة المواقع (الممتدة أو الوافية)
رجل يضرب	زيداً	اضرب زيداً أو أوقع عملَك بزيدٍ
رجل يحدثُك بحديثٍ فقطعه	حديثَك	واصل حديثَك
جدار سيقع	الجدار الجدار	احذر الجدار
رجل يكاد يطأ الصبيَّ	الصبيَّ الصبيَّ	لا تطأ الصبيَّ
رجل يشتم	عمراً	اشتم عمراً
تحذير من الاقترابِ من الأسد	الأسدَ الأسدَ	لا تقرب الأسد
أمر بالابتعاد عن الطريق	الطريق الطريق	خل الطريق، أو تنَحَّ عن الطريقِ
مثل يراد به الدعاء على غنمِ رجل	اللهمَّ ضبعاً وذئباً	اللهمَّ اجمع فيها ضَبعاً وذئباً، أو اللهم اجعل فيها ضَبعاً وذئباً
توقع لومِ المخاطَب للمتكلم	الصبيان	لُم الصبيانَ

كما أورد أمثلةً تتعلق بإضمار الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي " وذلك قولك إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج فقلُت مكةَ وربّ الكعبة، أو رأيت رجلاً يسددُ سهماً قبل القرطاس فقلت: القرطاسَ والله، أي يُصيب القرطاس " [263]، إذ تعين الثقافة المشتركة هنا على توضيح البعد الدلالي، ومن الأمثلة التي أوردها ما يأتي: [264].

(263) الكتاب: 1/ 257، وينظر: مصطلح الكلام: 72.73.

(264) ينظر: الكتاب: 1/ 257، 270، جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه: 24 - 25، شرح جمل سيبويه: 1/ 170 وما بعدها، السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي، عرفة عبد المقصود عامر حسن: 22 - 24.

الموقف الاجتماعي	جملة الموقع الواحد في غير الأمر والنهي (الكافية)	جملة المواقع (الممتدة أو الوافية)
تقول في رجل متوجهٍ إلى الحج (الحاضر)	مكـــةَ	يريدُ مكةَ
رجل توجه إلى مكة (*) (الماضي)	مكـــةَ	أرادَ مكةَ
رجل يسددُ سهماً إلى قرطاس (الحاضر)	القرطاس	يصيب القرطاس
وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس تعبر بالفعل الماضي	القرطاس	أصاب القرطاس
تكبير ناسٍ بعد نظرهم إلى الهلال	الهـــلال	أبصروا الهلال
رجل رأى رؤيا	خيراً لنا وشراً لعدونا	رأيتَ خيراً لنا وشراً لعدونا

ويمكن إجمال أبرز المبادئ والوسائل التي اعتمد عليها سيبويه في تحليل هذا النوع من الجمل بما يأتي:

1) التفرقة بين التمثيل والتكلم

لقد لاحظ سيبويه أنّ هذا النوع من الجمل (الجمل الكافية) مخالفٌ للمألوف في التراكيب العربية، ولهذا فإنه كان " يُمثّلُ بالمقابل المؤلّف من

(*) قال سيبويه : " كأنك أخبرت بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمس ". الكتاب : 1 / 257 .

جملة وافية لإفهام القارئ أن هذه الجملة - رغم توحد عنصرها- فيها قوة الجملة المتعددة العناصر أو المواقع " [265].

ولكي لا يظن القارئ أنّ هذه الجملة مختزلة من الوافية، فإنه " كان يُسارعُ إلى القول " بأن هذا تمثيل ولا يُتكلم به " أو " أن هذا التمثيل لا يُستعمل " أو أن هذا "متروكُ إظهاره" " [266].

2) البنية العميقة والبنية السطحية:

تنبه سيبويه إلى وجود مستويين للجملة الكافية، أحدهما غير منطوقٍ به وهو ما يسمى بالبنية العميقة **" Deep Structure "** والثاني منطوق به وهو ما يسمى بالبنية السطحية **" Surface Structure "**.

ذلك أنّ بناء الجملة ذات الحركة الموضعية يقود إلى العناية بالتركيب الكلي لها، والرجوع إلى الأصل والفرع [267]، فقد اعتمد النحاة مبدأ أصل التقدير، وهو في اصطلاحهم حذف الشيء مع إبقاء دليل عليه [268]، ويعد التقدير وسيلة معيارية الغرض منها تعيين العنصر المحذوف ووضعه في موقعه المناسب في التركيب [269].

---

(265) جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه: 22.

(266) المصدر نفسه: 22.

(267) ينظر: من قضايا اللغة: 295.

(268) ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي: 115 - 120.

(269) ينظر: مصطلح الكلام: 84.

إن الحذف يمثل عنصراً تحويلياً يتحقق في الجملة لغرضٍ في المعنى [270]، وبما أن الحذف خلاف الأصل " فإنه لا يعدل إليه إلا لسبب يقتضيه، مع قيام قرينة دالة عليه سواء أكانت هذه القرينة حالية أم مقالية " [271].

3) مراعاة الموقف الاجتماعي وسياق الحال:

إن اللغة العربية التي عني سيبويه بدراستها في كتابه هي لغة طبيعية غير معزولة عن سياق الحال الذي استعملت فيه، ولهذا فقد نبه في غير موضع من كتابه على أثر المقام في المقال، معتمداً على مبدأ التعليل بوصفه أداة للربط بين نظامين، نظام اللغة بنصوصها المتباينة، ونظام النحو بتصوراته وأحكامه [272]. لقد راعى سيبويه المقام، والجانب الاجتماعي، والأفكار السياقية المتبادلة بين المتكلم والمتلقي المنتسبين إلى بيئة اجتماعية واحدة، التي تتضمن المعطيات المتعلقة بمحيط النص، والمتكلم، والمتلقي، والحال المشاهدة للكلام في الموقف الكلامي، وما يحيط بالشخص، وما يلابس ظروفه مما يتجاوز السياق اللغوي للكلام [273].

إذ يتضافر السياق اللغوي وسياق الموقف عند سيبويه في الارتقاء بالمعنى وتوضيحه مع توظيف السياق الخارجي الذي يعين على تحديد معنى الجملة ورسم ملامحها. كما سلط سيبويه الضوء على السياق المكاني والزماني

---

(270) ينظر: الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم: 40.

(271) المصدر نفسه: 40.

(272) ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د. حسن خميس الملخ: 43.

(273) ينظر: القاعدة النحوية- تحليل ونقد: 112 - 113، سياق الحال في كتاب سيبويه: 49-89.

والديني والاجتماعي، فضلا عن تأكيده أهمية القصد والإدراك عند المتكلم، مع مراعاة الوضوح وعدم الغموض الذي يسبب الالتباس، ويمنع تحقق الاتصال الناجح بين المتكلم والمخاطَب [274]. " لقد كان سيبويه حريصاً على أن يبين الموقف الاجتماعي الذي تُستعمل فيه جُملة الموقع الواحد؛ لأنه لحظ ما في هذه الجملة من الاكتفاء بالعنصر الواحد، فكان يلجأ إلى المناسبات الاجتماعية التي ساعدت هذا العنصر على أداء ما تؤديه جملةٌ "وافيةٌ " مما يكشِفُ عن قوةٍ دلاليةٍ في هذا النوع من الجمل " [275].

وإذا كان النصب يرجع إلى عمل لغويّ مضمر في التقدير اللفظي فإن الحال في الحقيقة هي العامل، وهي تعادل العنصر اللغويّ المضمر، ولهذا فقد استغني عن العنصر اللغوي بالعنصر الحالي الذي يكاد يكون عرفياً لكثرته في الكلام [276].

ويُستدلُّ على الحذف إما من سياق الكلام، أو سياق الحال، ويُغني سياق الحال عن ذكر المحذوف كما يغني سبق الذكر عن ذلك [277].

" فقد تدفع دلالة السياق المتكلم في كثيرٍ من الأحيان الى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة اكتفاءً ببعضها الآخر " [278].

---

(274) ينظر: السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: 6- 30.

(275) جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه: 22، وينظر: مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 60.

(276) ينظر: مصطلح الكلام: 72.

(277) ينظر: المصدر نفسه: 83 - 84، مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 60 - 61.

(278) من قضايا اللغة: 295.

كما أن الاستدلال على المحذوف بنوعيه المقالي والحالي يؤدي إلى أمن اللبس لدى المخاطب والذي مرده كثرة استعمال هذه الظاهرة، ومن هنا يمكن أن نعُدّ (كثرة الاستعمال) قرينةً كبرى على المحذوف والمعنى المراد معاً[279].

4) مراعاة غرض التركيب:

" كان سيبويه يلزم نفسه ببيان الأسلوب الذي تُستعمل فيه الجملة، كأن يكون أسلوب أمرٍ، أو نهيٍ، أو دعاءٍ على المخاطب، أو دعاءٍ له، كما كان يُبين إذا كانت الجملة تُستعمل في الإخبار، أو في الشرط وهكذا " [280].

وهذا الاتجاه يوحي لنا بجوانب تداولية تُراعي الفعل الكلامي للملفوظة المستعملة في سياقٍ تخاطُبي معين، إذ إن هذه الأغراض هي في حقيقتها أفعال كلامية تتحدد بالنظر إلى عالم الملفوظات من زمانٍ، ومكانٍ، ومتكلمٍ، وسامعٍ (مخاطب)، فضلاً عن ارتباط هذا الأمر بعناصر سياقيةٍ أخرى.

5) الحركة الإعرابية للكلمة:

إنّ الحركة الإعرابية في الجمل الكافية لها أهمية ذات خطورةٍ، ذلك أنّ حركةَ الإعراب هي إحدى العلامات التركيبية التي تُعرفُ بها وظيفة الكلمة في التركيب. ونشيرُ إلى أنّ حركة العنصر في الجملة الكافية، كانت إمّا فتحة، أو ضمة [281]. وتجدرُ الإشارة هنا إلى " أنّ الحركة الإعرابية لدى سيبويه وفي

---

(279) مصطلح الكلام: 84.

(280) جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه: 22.

(281) ينظر: المصدر نفسه: 22.

ضوء السياق الحالي ظاهرةٌ لغويةٌ اجتماعيةٌ يحددها السياق ومراد المتكلم"[282].

6) صيغة الكلمــة:

تحدث سيبويه عن النوع الكلامي للعُنصُر المستعمل في الجملة الكافية " فقد يكونُ هذا العنصر اسماً مفرداً أو مضافاً، معرفةً أو نكرة، أو مصدراً، أو اسماً بدل مصدر، أو صفةً وهكذا " [283].

وفي ذلك ربط بين النموذج والصيغة، ومن هنا يمكننا القول إنّ للجمل الكافية مواقفها، وأغراضها الاجتماعية، وصيغها [284].

ظاهرتا الاتساع والاستغناء عن المحذوف:

1. ظاهرة الاتســاع:

إنّ الاتساع نوعٌ من التصّرف في تأليف الكلام بالحذف، والاختصار[285]، والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى [286].

---

(282) مصطلح الكلام: 74.

(283) جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه: 22.

(284) ينظر: المصدر نفسه: 22.

(285) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 231.

(286) ينظر: النحو والدلالة: 133.

ومما أورده سيبويه في هذا المجال قوله تعالى: **{واسأل القرية التي كنا فيها... يوسف / 82}** والمراد: (أهل القرية).

" فاختصر الكلام وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا " [287].

فالاتساع هو " إيقاع العلاقات النحويّة التي كان يجب أن تقع بين الكلمات المذكورة والكلمات المحذوفة على الكلمات التي وقعت عليها " [288].

ففي المثال السابق يوجد مستويان أحدهما غيرُ منطوقٍ به، والآخر منطوقٌ به، وغيرُ المنطوقِ به يتحكم في توجيه المنطوقِ وتفسيره:

المستوى الأول: واسأل أهل القرية " غيرُ منطوق به ".

المستوى الثاني: واسأل القرية " منطوقٌ به " [289].

إنّ المستوى الثاني صُحّح بناءً على صحة المستوى الأول، ويظل المستوى الأول هو الدليل على الصحة النحوية والدلالية، وهو الذي يقودنا إلى ما يسمى بالمجاز [290].

2. ظاهرة الاستغناء عن المحذوف:

---

(287) الكتاب: 1/ 212.

(288) النحو والدلالة: 134.

(289) المصدر نفسه: 134.

(290) المصدر نفسه: 134.

وردت في الكتــاب أمثلةٌ كثيرة صرح سيبويه في غير موضعٍ منها بأنها مما يُتركُ للاستغناء [291]، ومثال ذلك قوله:

" ومما يقوي ترك نحو هذا لعلم المخاطب قوله عزّ وجل: **{والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات الأحزاب / 35}** فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناءً عنه " [292].

" ويمكن عد جميع أمثلة (باب التنازع) من هذا النوع، فالأصل في ضربتُ وضربني زيدٌ جملتان هما ضربتُ زيداً، وضربني زيد، ثم استُغني عن زيد فلم يعمل الأول فيما عمل فيه الآخر، ومن الاستغناء ما ينتصبُ في (باب الاشتغال) " [293] كقول سيبويه: زيداً ضربته، فالاستغناء هنا عن الفعل، والتقدير: ضربتُ زيداً ضربته [294].

ومن هنا يمكننا القول إن سيبويه حاول تفسير المظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية في اللغة معللاً لها عن طريق ملاحظة ما لجهاز التحاور من سيطرة على قوانين الحدث التخاطبي [295]، ولعلّ أكثر ما يلفت الانتباه في العمل الرائد لسيبويه " هو استنباطه لقانون التناسب العكسي بين طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة الدلالية، وبموجبه تكون

---

(291) منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 233.

(292) الكتاب: 1/ 74 - 75.

(293) منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 234.

(294) ينظر: الكتاب: 1/ 81، منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 234.

(295) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: د. عبد السلام المسدي: 332.

الطاقة الاختزالية ممكنةً بقدر ما يكون السامع مستطلعاً على مضمونها الخبري " [296].

(296) المصدر نفسه: 332.

قبل الختام ... عوداً بعد بدء

جملة المفعول به في الكتاب في ضوء منحى سيبويه التكاملي

وقبل أن نختم الكلام حول هذا الحديث المتشعب ذي الأفرع والشجون، يمكن إجمال أبرز ما تضمنته رؤى سيبويه من مناحٍ تكاملية في تناوله للأدوار الدلالية والوظيفية للمفعول به في الجملة في ضوء العديد من المناهج والاتجاهات اللغوية التي سادت واتخذت لها مكانة مؤثرة منذ انبثاق فجر الدراسات اللسانية الحديثة في القرن المنصرم:

(1) المنهج المعياري ونظرية العامـل:

يظَهرُ هذا البعد في الكتاب بوصفه منهجاً تعليمياً اعتمده سيبويه في تصنيف موضوعات كتابه [297]، فقد اعتمد سيبويه أسلوب التقويم النحوي لأي تركيب في مطابقته لعصور الفصاحة والاحتجاج، إذ إنه يدرس

(297) المصدر نفسه: 332.

موقع ذلك الأسلوب من شجرة الأساليب [298]، معتمداً في ذلك على مستويين هما مستوى (الصواب والخطأ)، ومستوى (الجودة): (حسن / أحسن) [299].

كما اهتم سيبويه بوضع القواعد، ثم نراه يقوم بشرحها بالاستعانة بالأمثلة التوضيحية، ومن ذلك حديثه عن أقسام الكلام وأنواعه معقباً على كل نوع بإيراد أمثلة تصفه وتوضحه [300].

ومن أجلى مظاهر المعيارية نظرية العامل، وقد أشار البحث إلى الدور المحوري لهذه النظريةِ في مختلف جوانب الكتاب بوصفها نظريةً لها ما للنظريات العلمية من خصائص تتمثل بكونها عامةً، وذات مبدأ ومنهجٍ للتفسير والبحث، ووضح البحث الفارق بين العلاقة والعامل.

وفيما يتعلق بجملة المفعول به - على وجه الخصوص - ما أشار إليه سيبويه من علاقاتٍ بين العامل والمعمول، سواءٌ ما ارتبط منها بالمفعول به بصورةٍ خاصة: (علاقة التعدي)، أو ما ارتبط بمفهوم الإسناد كعلاقتي (التطابق والتفرغ أو الإشغال)، أو ما ارتبط بمفهوم البناء الأوسع مع ما تشتمله من مكملاتٍ للجملة كعلاقة التطابق والخلاف والإضافة [301].

لقد كان لنظرية العامل مكانةٌ مرموقةٌ في الدرس اللغوي القديم، ويبدو أنها ستظل كذلك، بوصفها وسيلةً ناجحةً لتحليل التراكيب اللغوية بالاعتماد

---

(298) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي ، (تقديم الدكتور محمد ضاري حمادي) : 11.

(299) ينظر: المصدر نفسه ، (تقديم الدكتورة خديجة عبد الرزاق الحديثي) : 8.

(300) ينظر: الكتاب: 1/ 25 - 26، المنهج المعياري وآثاره في تعلم اللغة: 6، 7.

(301) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 250- 260.

على مبدأ الثنائية في العلاقة بين العنصر الفاعل (العامل) والعنصر السالب المعمول فيه [302]، أو بين السبب والمُسَبّب.

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين عدم وجود وسيلة أخرى تغني عن القول بوجود عاملٍ في الجملة، يقول: " لقد كان من الممكن أن نستغني عن القول بالعامل لو أنّ أجزاء الجملة عندنا لم تكن متغيرة، شأن اللغات الأجنبية، كالإنجليزية والفرنسية، وربط التغيير بالوظيفة - كما يقترح بعضهم- ليس حلاً نهائياً؛ لأن الشكل الواحد قد ينتج عن وظائف كثيرة يُغني عنها جداً القول بالعامل، أي أن فكرة العامل، لو لم تكن حقيقةً لغويةً فهي ضرورةٌ تصنيفيةٌ، تختصر كثيراً من الأضرب والأنواع التي ربما أسفر عنها اعتبار الوظيفة في تفسير التغيرات الشكلية " [303]. وهو يرى أن نظرية الدكتور تمام حسان في القرائن النحوية واطّراح العامل تصلح من الناحية النظرية في تفسير التغيرات الإعرابية، ولكنها - من الناحية التعليمية - صعبة التناول [304].

(2) المنهج الوصفي:

أشار كثير من الباحثين إلى أبعاد وصفية في الكتاب، فقد كان " هدف سيبويه أن يقدم وصفاً كاملاً للعربية " [305] معتمداً على طريقة التحليل

---

(302) ينظر: نحوي عربي من القرن الثامن (للميلاد): 29.

(303) المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، د. عبد الصبور شاهين: 81، وينظر: مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 17 - 40.

(304) ينظر: المنهج اللغوي في كتاب سيبويه: 81.

(305) نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد: 30.

اللغوي الشبيهة بطريقة تحليل المكونات المباشرة، ذلك أنه كانَ يتبع أسلوب تحليل كُلّ لفظةٍ إلى وحدات ثنائية [306]. لقد فرّق سيبويه بين مجالين " مجال الصحة المفترضة أو المتصورة التي وضعها النحاة، ومجال الواقع اللغوي المستعمل فعلاً عند العرب بغض النظر عن المعايير التي وضعها النحاة، وعندما يتعارض المجالان، فإن سيبويه يحكم على الأول بأنه قبيح، وعلى الثاني بالحسن، لأنك أجريته على ما أجرته العرب، وهذا هو أساس المنهج الوصفي، وصفُ كلام العرب كما هو، لا كما يجب أن يكون حسب معاييرهم " [307].

وقد تقدمت الإشارة إلى وصف سيبويه لقولهم: أضربك أو أقتلك، بأنه قبيحٌ لم يُعرف عند العرب. ومثال ذلك أيضاً ما أورده في باب إضمار المفعولين اللذين تعدى إليهما فعل الفاعل، من أنّ قولك أعطانيه وأعطانيك معروفٌ تكلمت به العرب [308]: " فإن بدأ بالمخاطب قبل نفسه فقال: أعطاكني أو بدأ بالغائب قبل نفسه، فقال: قد أعطاهوني، فهو قبيح لا تتكلم به العرب، ولكن النحويين قاسوه"[309]. ولعلّ أبرز تجسيد للوصفية في منهج سيبويه أنه كان يعتمدُ على دراسة الأمثلة [310]، واصفاً لها ومحللاً لأجزائها، فقد كان يدرس أساليب الكلام في اتجاهٍ تركيبي، دارساً أنواع الكلم الوظيفية [311].

---

(306) ينظر: المصدر نفسه: 29.

(307) الكتاب بين المعيارية والوصفية: 43 - 44.

(308) ينظر: المصدر نفسه: 46.

(309) الكتاب: 1/ 383، ويُنظر: الكتاب بين المعيارية والوصفية: 46.

(310) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: 8.

(311) ينظر: المصدر نفسه: 7.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المبدأ الوصفي الذي اعتمده سيبويه في كثير من جوانب كتابه ليس شكلاً قاصراً، لكنه منهجٌ جمع فيه بين جانبي الشكل والمعنى، رابطاً المعنى النحوي بالمعنى الدلالي كما ورد في البحث.

ومما يلاحَظُ أيضاً أنّ سيبويه قد اعتمد على أسلوب الموازنات بين الأساليب المختلفة عن طريق المقابلات الإيجابية، أو القيم الخلافية (السلبية) بهدف الإفهام، ذلك أنّ الأساليب يُمكن أن تُفهمَ بمقابلتها بعضها ببعض [312]. وفيما يتعلق بجملة المفعول به بصورةٍ خاصة، يظهرُ الجانب الوصفي البنيوي عند سيبويه في إكثاره من ذكر الأمثلة لهذا النوع من الجمل بنوعيها الوافية والكافية دارساً ومحللاً تراكيبها، ورابطاً هذا الأمر بالجانب الدلالي.

(3) المنهج الوظيفي:

تتمثل منطلقات النحو الوظيفي ومفاهيمه ببناء الكلام الذي يمر - حسبَ النحو الوظيفي - بثلاثة أطوار كبرى ، يتمثل الطور الأول بالخزينة (الأساس)، وهي رصيد اللغة من الألفاظ الدالة على الذوات، أو الصفات، أو العلاقات، أما الطور الثاني فهو التأليف بين بعض العناصر في ذلك الرصيد، والطور الثالث هو طورُ التعبير [313].

وقد كان لهذا المنهج حضورٌ بارزٌ في كتاب سيبويه، إذ تضمن عناية بالمعنى الوظيفي الذي تعكسه التراكيب وتأتي لخدمته، فقد كانت لسيبويه ثلاثة مسارات أساسية لدراسة الكلام هي:

---

(312) ينظر: المصدر نفسه: 8 - 9.

(313) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل: 428.

المسار التركيبي، والمسار الدلالي، والمسار التداولي [314].

إن نموذج النحو الوظيفي هو " ذلك النموذج الذي يرتكز في تحليله للتراكيب اللغوية على وصفها وتفسيرها في حالة تأدية أغراض بعينها، في مقامات محددة بالنظر إلى الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل، وبمراعاة علاقة البنيات بالوظائف التي تؤديها في الكلام، فبحسب المعاني المقصودة تكون البنيات " [315].

فلا تقتصر عناية النحو الوظيفي بالوظائف التركيبية التي تؤديها الكلمات في الجملة، كوظيفة الفاعلية والمفعولية فحسب، إذ إن هذه الوظائف تمثل جزءاً من كل، وهي تتفاعل مع وظائف أخرى مقامية أو تبليغية هي الوظائف الدلالية، والتداولية، في ترابطٍ بين الخصائص البنيوية للتراكيب اللغوية والأغراض التواصلية التي توظف هذه التراكيب .أي إن النحو الوظيفي هو حصيلة وظائف ثلاث: تركيبية، ودلالية، وتداولية [316].

وقد كان لسيبويه عنايةٌ بالدور الوظيفي للمفعول به في نيابته عن الفاعل - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في البحث - مؤكداً أن المفعول به هنا يمثل جزءاً أساسياً في النواة الإسنادية، وله دلالته الوظيفية المهمة.

---

(314) ينظر: الوظيفية في كتاب سيبويه: 34 -40.

(315) المصدر نفسه: 8 - 9.

(316) ينظر: المصدر نفسه: 9.

(4) المنهج السياقي الاجتماعي:

آمن سيبويه بأن اللغة سلوكٌ اجتماعي [317]، فنقل التعابير السلوكية لتجسيد اللغة كائنــاً حياً[318]، وقد لاحظ أن الكلام يتألف من عناصر لغوية خالصة، ويقومُ أيضاً على عناصر أخرى من العالم الخارجي [319].

وقد تنبّه إلى أثر المتغيرات الخارجية (كالمتكلم وموقفه الخاص، والمخاطب) على طبيعة التركيب اللغوي [320].

فظهر هذا الجانب في كثير من موضوعات الكتاب، ولا سيّما ما يتعلق بالجملة الكافية التي يتطلّب فهمها الاعتماد على جوانب خارجيةٍ ، سياقيةٍ، وعرفيةٍ، واجتماعيةٍ، فضلاً عن السياق اللغوي الداخلي.

(5) المنهج التوليدي التحويلي:

لعلّ أبرز موضوع ظهر فيه هذا الجانب هو ما يرتبطُ بالجملة الكافية التي يُقدّرُ لها سيبويه جملةً وافيةً ممتدة، بما يتلاءم مع سياقها الداخلي والخارجي، فضلاً عن اعتماد أسلوب التقدير في مختلف جوانب الكتاب.

وفي البحث إشاراتٌ إلى مبدأ الأصل والفرع الذي اعتمده سيبويه في التمييز بين ما هو منطوقٌ به، وما هو غيرُ منطوقٍ به في الكلام [321].

---

(317) ينظر: نحوي عربي من القرن الثامن (للميلاد): 29.

(318) ينظر: المصدر نفسه: 36.

(319) ينظر: نظرية النحو العربي: 90.

(320) ينظر: المصدر نفسه: 93، مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 57- 60.

(321) ينظر: مقاربات لسانية في كتاب سيبويه: 71- 83.

(6) المنهج التداولي:

إن الخطاب هو " تراكيب لغويّة تامة، وهي كائنةٌ أو محتملة الوقوع من قبل المتكلم، فأمثلة التراكيب أحداثٌ واقعيّةٌ سماها علماءُ اللغة المحدثون بالكلام " [322].

وعناصر الخطاب هي المتكلم، والمخاطب، والسياق [323].

ووظيفة الخطاب لدى سيبويه تتمثل في جانبين:

جانب عام يتمثلُ بإفادة المخاطب ما يحتاجُ إلى معرفته، أي نقل الأفكار وتوصيلها بين المتكلم والمخاطب، ويتوقف هذا الأمر على شكل الخطاب الذي يستعملهُ المتكلم.

وجانبٌ خاص ويُقصد به معنى التركيب والسياق، وقد عني به سيبويه [324]، وقد أشار كارتر إلى أنّ سيبويه أورَدَ أكثر من سبعين صنفاً وظيفياً في كتابه [325].

ومن وظائف الخطاب الخاصة في الكتاب: الإخبارُ، والإعلامُ، والاستفهامُ، والأمرُ، والنهيُ، والدعاءُ، والتنبيهُ، والتحذيرُ، والمبالغةُ، والتعظيمُ، والتخصيصُ، والعرضُ، والتحضيضُ[326]، وغيرها، وهذا الجانب - كما يبدو-

---

(322) مصطلح الكلام: 109.

(323) ينظر: المصدر نفسه: 112.

(324) ينظر: المصدر نفسُه: 110.

(325) ينظر: نحوي عربي من القرن الثامن (للميلاد): 29.

(326) ينظر: مصطلح الكلام: 111.

مرتبطٌ باللسانيات التداولية التي تركزُ على عناصر الخطاب بوصفها عالَماً للملفوظة.

ولعلّ إشارات سيبويه إلى أغراض التراكيب، كإشاراته إلى أغراض الجمل الكافية (الأمر والنهي وغير الأمر والنهي والدعاء... الخ) تمثلُ جانباً خطابياً تداولياً له ضرورته في تحليل الأساليب اللغوية.

الخاتمة

يمكن إجمال أبرز ما اشتملته هذه الدراسة من نتائج بما يأتي:

1. إن مفهوم البناء عند سيبويه أوسع من مفهوم الإسناد، فالإسناد ينحصر بين طرفي المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، أما البناء فيتجاوز ذلك ليشتمل على ما يرد بعد طرفي الإسناد مما تتم به دلالة الكلام، وقد عرضت الدراسة لأبرز الاسباب التي دفعت سيبويه إلى أن يبتدئ كتابه بمفهوم الإسناد بوصفه النواة الأساس التي تتعلق بها باقي مكملات الجملة، مع التأكيد على أن سيبويه لم يهمل مفهوم البناء بمعناه الواسع، بل وظفه في تحليله لأجزاء الكلام في كتابه.
2. أكد سيبويه القيمة الدلالية لمكملات الجملة التي لا يمكن الاستغناء عنها في التعبير عن المعنى المقصود، وقد اشتمل البحث على مقارنة بين المفعول به وباقي مكملات الجملة من حيث الأهمية، والوظيفة النحوية، والإفادة، والعلاقة بين العامل والمعمول، مؤكداً أن المفعول به من أركان الجملة ولا يصح حذفه أو الاستغناء عنه دون أن يختل المعنى، بل قد تفوق قيمة التكملة في الجملة قيمة النواة الاسنادية وذلك حين يرتكز القصد الإخباري على المعنى الذي يقدمه المفعـول به في الجملة.
3. فرّق سيبويه من حيث الاهمية بين المفعول به الذي يتم به الكلام وبين ما يأتي بعد تمام الكلام في الجملة من المكملات الاخرى، مؤكداً الجانب الوظيفي للمفعول به بوصفه جزءاً من النواة الإسنادية، ومشيراً الى

السمات الدلالية التي يتميز بها المفعول به بين سائر مكملات الجملة الاخرى.

4. تناولت الدراسة جملة المفعول به عند سيبويه في ضوء مستويي الحركة والثبوت، ومعيار الحجم، عارضةً صور جملة المفعول به الثابتة، الفعلية وغير الفعلية، التي تطابق صورتها الخارجية (السطحية) صورة بنيتها الداخلية العميقة، عن طريق تتبع موقف سيبويه منها، واعتماده فيها على اسلوب الموازنات في تحليله للأساليب اللغوية، وظهر من ذلك التتبع اهتمام سيبويه بالمفعول به، مؤكداً دوره الدلالي في الجملة.
5. عرضت الدراسة الحركة الافقية لجملة المفعول به عند سيبويه، وقد وردت في الكتاب كثيرٌ من الأساليب التي تعرضت للحركة الافقية في جملة المفعول به ومنها التقديم والتأخير، كما عرض سيبويه في الحركة الرأسية أمثلةً تتعلق بالعطف في جملة المفعول به، إذ يمثل العطف مظهراً من مظاهر هذه الحركة التي تشتمل على فائدةٍ كبيرةٍ في اختصار الأساليب بوساطة تعويضه عن التكرار في الجمل.
6. تناولت الدراسة الحركة الموضعية لجملة المفعول به في الكتاب متمثلةً بظاهرة الحذف التي كانت محل عناية سيبويه كثيراً، إذ يُعد الحذف من الظواهر النحوية التي تظهر فيها أهمية الجانب الدلالي بوضوح، وقد تحدث سيبويه في كتابه عن أنماطٍ تركيبيةٍ كثيرة يشكلُ فيها الاسم المنصوب العنصر الأساس في الجملة بوصفه دليلاً على فعلٍ مضمرٍ، أو مقدر.
7. اعتمد سيبويه على جملةٍ من المبادئ والوسائل في تحليل الجمل الكافية، كالتفرقة بين التمثيل والتكلم، والتمييز بين البنية العميقة والبنية

السطحية، ومراعاة الموقف الاجتماعي، وسياق الحال، ومراعاة غرض التركيب، والحركة الاعرابية، وصيغة الكلمة.

8. سعى سيبويه إلى تفسير المظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية في اللغة ،معللاً إياها عن طريق ملاحظة ما للتحاور من سيطرة على قوانين الحدث التخاطبي.
9. كان سيبويه في الكتاب صاحب نهج تكاملي، إذ إننا لا نستطيع أن ننسب إليه منهجاً واحداً بكل جوانبه، ولكننا - في الوقت نفسه - نلحظ أنه قد وظف المنحى التكاملي في مجمل جوانب كتابه، مما أضفى على نهجه سمة الوصفية، والمعيارية، والوظيفية، والسياقية الاجتماعية، والتوليدية التحويلية، والتداولية في الوقت عينه، محققاً تكاملاً في الرؤى، هي أبعد ما تكون عن التنافر والتعارض، موظفاً كلاً في موضعه الملائم، دون أن يغلّب جانباً على آخر، أو يهمل جانباً على حساب آخر.
10. وظف سيبويه المنحى التكاملي في دراسته النحوية لجملة المفعول به، وفي تناوله لمختلف الموضوعات النحوية التي طرحها في كتابه، فنجح في توظيف هذا النهج مؤكداً الدور المحوري للمفعول به في الجملة العربية.

ويبدو أنّ من الضروري أن يعيد الباحثون النظر في الكتاب في قراءاتٍ جديدةٍ ومتعددةٍ، لا يكون المنطلقُ فيها معيارياً مبنياً على اعتماد أحكام مسبقة، وتبنيها، بل بوصف الكتاب مُنطلقاً للبحث، وبوصف صاحبه عَلَماً من أعلام اللغة اتسم نهجه باعتماد نظريةٍ تكامليةٍ لم تكن يوماً تابعةً لمنهج معيّن من المناهج الحديثة، ذلك أنها الأصل ولا يُمكن للأصلِ يوماً أن يكون فرعاً عن أحدٍ أو عن اتجاه.

ولابد هنا من تأكيد تسميتهِ بالمنهج التكاملي، وليس الانتقائي؛ ذلك أنّ الانتقاء يوحي ويُعبّرُ عن سابقٍ ننتقي منه ما شئنا، أي أنه يُعبّر عن فرْع

يُعَوّلُ على أصلٍ، ويعتمدُ عليه، ويتبنى نظرياته، مطبقاً لها، وسيبويه - في منهجه - لم يعتمد على سابقٍ له من المناهج اللغوية، بل إنه - ومن قبله أستاذه الخليل - كان هو المؤسس، والأصل في كتابه.

إنّ السعي لتأسيس نهج تكاملي يتجاوزُ موضوع جملة المفعول به في الكتاب ليعبر عن ضرورةٍ علميةٍ وواقعيةٍ، لا سيما بعد أنّ ثبت وجود نقاط ضعفٍ في مختلف المناهج اللغوية الحديثة، من وصفيةٍ بنيويةٍ، أو سلوكيةٍ، أو وظيفيةٍ، أو توليديةٍ تحويليةٍ، أو سياقيةٍ اجتماعية، أو تداوليةٍ.

ومن اللافت للنظر، ما يُلاحظُ من احتواء كُلّ منهجٍ من تلك المناهج على جوانب ضروريةٍ يحتاجُها الدَرسُ اللغوي، الأمر الذي يؤكّدُ خطأ رفض تلك المناهج بصورةٍ كُليّةٍ، وخطأ تبني منهجٍ منها- على عِلاته ونقاط ضعفه- بصورةٍ كُليّة.

ولَعلّ استخدام سيبويه لآلياتٍ متنوعة في التحليل اللغوي يُنبئ بطرفٍ خفيٍ، تلميحاً لا تصريحاً، بضرورةِ تأسيس منهجٍ متكاملٍ لا يعتمدُ على مبدأ الانتقاء العشوائي، بل يتخذُ له أساساً صُلباً راسخاً، نابعاً من حاجةِ اللغةِ، وملائماً لمختلفِ مستوياتِ التحليل اللغوي الداخليةِ منها والخارجية.

وهذا المنهج المنشود سيتميز بسمات وخصائص لا توجدُ في غيره من المناهج، وهو قابليتهُ الدائمة على استيعاب جوانبَ أخرى جديدة تُثري أبعاده التكاملية، وتطوّرُ من آلياتهِ في التحليل، عَلهُ يوماً يكون الأقرب إلى الكمال المرجو بمنظورنا القاصر فالكمال لله وحده (سبحانه وتعالى)، وعليه المعول والتكلان.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أئمة النحاة في التاريخ، د. محمد محمود غالي، دار الشروق- جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1976م.
- أثرُ النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، الطبعة الثانية، (د. ت).
- الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، د. إدريس مقبول، جدارا للكتاب العالمي، عمان- الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، الطبعة الأولى، 2007 م.
- الأصول في النحو، محمد بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.لبنان، الطبعة الرابعة، 1999م.
- الألسنية العربية، النحو- الجملة- الأسلوب- خاتمة، ريمون طحان، سلسة الألسنية- 2- المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م.
- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث (في مجالي: مفهوم اللغة والدراسات النحوية)، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994 م
- البحث الدلالي في كتاب سيبويه، د. دلخوش جار الله حسين دزه يي، دار دجلة، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 2007 م
- البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلةٍ عربية، عثمان بن طالب، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسة اللسانيات، عدد- 6- 1986م.
- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، 2003 م.

❖ بناء الجملة في كتاب الأُصول لابن السراج في ضوء علم اللغة الحديث، أمل حامد بدر فيصل العنزي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1423 هـ - 2002 م.
❖ بنية الجملة العربية في ضوء المنهجين الوصفي والتحويلي، عبد الحميد مصطفى السيد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد الخامس والسبعون، السنة التاسعة عشرة، 2001 م.
❖ البنية الداخلية للجملة الفعلية في العربية، داود عبده، مجلة أبحاث، يُصدرُها مركز الدراسات العربية، ودراسات الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، السنة 31، 1983 م.
❖ التحويل في النحو العربي، مفهومه- انواعه- صوره، رابح بو معزة، دار ومؤسسة رسلان، دمشق- سوريا، 2008 م.
❖ التراكيب غير الصحيحة نحوياً في (الكتاب) لسيبويه- دراسة لغوية، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1988 م.
❖ التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م.
❖ الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه- دراسة وصفية تحليلية، د. علاء اسماعيل الحمزاوي، موقع: مكتبة لسان العرب، lisanarabs.blogspot.com.
❖ الجملة الطويلة في القرآن الكريم، د. علي ناصر غالب، مجلة: دراسات نجفية، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، السنة الأولى، العدد الثاني، 1424 هـ، 2004 م.
❖ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان- الأردن، الطبعة الثالثة، 2009 م.

❖ الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني، رابح بو معزة، دار ومؤسسة رسلان، دمشق- سوريا، 2008 م.
❖ جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه، محمود شرف الدين، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التقريب في الوطن العربي، المملكة المغربية، المجلد- 16 -، الجزء- 1 -، 1978م.
❖ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيأة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الرابعة،1990م.
❖ الخطاب وخصائص اللغة العربية- دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د. أحمد المتوكل، دار الأمان- الرباط، منشورات الاختلاف- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت، الطبعة الأولى، 2010 م.
❖ خُطب عصر صدر الإسلام، دراسة لغوية، أنفال ناصر طالب، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1422 هـ، 2001 م.
❖ خواطر هيكلية في كتاب سيبويه و(كتب) من جاء من بعده من النحاة، هاينس غروتسفلد، تعريب: عبد الجبار بن غريبة، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تونس، العدد الثامن عشر، 1980م.
❖ دراسات في نحو اللغة الوظيفي، د. أحمد المتوكل، تقديم / الأزهر الزناد، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، جامعة تونس، العدد 290، 1988م.
❖ دروس في المذاهب النحوية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
❖ سياق الحال في كتاب سيبويه- دراسة في النحو والدلالة، د. أسعد خلف العوادي، دار الحامد للنشر والتوزيع- عمّان- الأردن، الطبعة الأولى، 2011 م.
❖ السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي، د. عرفة عبد المقصود عامر حسن، موقع: شبكة الألوكة، www.alukah.net.

❖ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عقيل الهمداني، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى . مصر، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة عشرة، 1964م
❖ شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق وضبط د. أنيس بديوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.
❖ شرح جمل سيبويه، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م.
❖ شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، 1978 م.
❖ ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان ياقوت، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1981م.
❖ ظاهرة التآخي في العربية، د. فاطمة عبد الرحمن رمضان بن حسين، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ، 1999م.
❖ ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة، والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د. ت.
❖ العلل النحوية في كتاب سيبويه، أسعد خلف العوادي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة الاولى، 2009 م.
❖ علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1982م.

❖ علم اللغة الحديث ، الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1432هـ – 2011م.
❖ عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1989م.
❖ فقه اللغة العربية وخصائصها، إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت .لبنان، الطبعة الثانية، 1986 م.
❖ في علم اللغة ، الدكتور غازي مختار طليمات ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، 2007م.
❖ في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، د. خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة، جدّة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1404هـ،1984م.
❖ القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم، دار الفكر- دمشق- سورية، الطبعة الأولى، 2007 م.
❖ قضايا ألسنية تطبيقية- دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا، دار العلم للملايين - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1993م.
❖ قضايا المفعول به عند النحاة العرب، د. محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، 2003 م.
❖ قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة الاولى، 2003 م.
❖ الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)، طبعة بولاق، 1316هـ ، تحقيق عبد السلام هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1395هـ، 1975 م.
❖ الكتاب بين المعيارية والوصفية، د. أحمد سلمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1989 م.

❖ كتاب سيبويه بين التقعيد والوصف، عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، العدد: 11، 1974م.
❖ اللسانيات والبيداغوجيا- نموذج النحو الوظيفي " الأسس المعرفية والديداكتيكية "، علي آيت أوشان، السلسلة البيداغوجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998 م.
❖ اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري، د.أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 2010 م.
❖ اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1425 هـ - 2004 م.
❖ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، د. محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1988 م.
❖ المركب الاسمي في كتاب سيبويه، علي بن معيوف بن عبد العزيز المعيوف، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية- الرياض- المملكة العربية السعودية، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الطبعة الأولى، 2007 م.
❖ مصطلح الكلام، مفاهيمه ومباحثه في كتاب سيبويه ، عبد الجبار عبد الأمير هاني، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1996 م.
❖ معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، بغداد، 1987م.
❖ مقاربات لسانية في كتاب سيبويه، د. لطيف حاتم، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، 2010 م.

❖ ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، محمد الشاوش، (من أعمال ملتقى اللسانيات في خدمة اللغة العربية)، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، سلسة اللسانيات، عدد- 5 –، 1981 م.
❖ من البنية الحملية إلى البنية المكونية- الوظيفة المفعول في اللغة العربية، د.أحمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1987م.
❖ من قضايا اللغة، أ. د. مصطفى النحاس، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، 1995 م.
❖ منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، " دراسات "، د. علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، الطبعة الأولى، 1986م.
❖ منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد كاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
❖ المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، د. عبد الصبور شاهين، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العدد 3، 4، 1973 م.
❖ المنهج المعياري وآثاره في تعلم اللغة العربية، أولاد دحمان فوزية، أولاد دحمان صفاء، (رسالة ماجستير)، جامعة أحمد دراية . أدرار، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجمهورية الجزائرية، 2021 / 2022م.
❖ المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د. نوزاد حسن أحمد، دار دجلة، عمان- الأردن، دار المعتز، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 2006 م.
❖ موضوعات في نظرية النحو العربي- دراسات موازنة بين القديم والحديث، د. زهير غازي زاهد، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، 2010 م.

❖ النحو والدلالة، مدخَلٌ لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، 1983م.
❖ نحوي عربي من القرن الثامن (للميلاد) (دراسة عن منهج سيبويه في النحو)، مايكل جي كارتر، ترجمة د. عبد المنعم آل ناصر، مجلة المورد تصدرها دار الثقافة العامة، بغداد- العراق، المجلد العشرون، العدد الأول، 1992م.
❖ نحو الفعل، أحمد عبد الستار الجواري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع- عمّان، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 2006 م.
❖ نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، 2001م.
❖ نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع- عمّان- الأردن، الطبعة الأولى، 2000 م.
❖ نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التركيب، د. عبد الحميد مصطفى السيد، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 18، العدد (3، 4)،2002م.
❖ نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1400 هـ، 1980 م.
❖ النكت في تفسير كتاب سيبويه، أبو الحجاج بن يوسف بن عيسى (الأعلم الشنتمري)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، الطبعة الأولى، 1407 هـ، 1987 م.
❖ النواسخ في كتاب سيبويه، حسام سعيد النعيمي، دار الرسالة، بغداد، 1977م.

❖ الوحدة الإسنادية الوظيفية- دلالتها وصورها، د. رابح بومعزة، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق- سوريا، 2014 م.
❖ الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم صورها- بنياتها العميقة- توجيهها الدلالي- تصحيح للمفاهيم ورؤية في المنهج، د. بومعزة رابح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008 م.
❖ الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة- الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، الطبعة الاولى، 1985م.
❖ الوظيفية في كتاب سيبويه، د. رجاء عجيل الحسناوي، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء المقدسة - العراق، الطبعة الأولى، 2015 م.